مجلة العلوم الإسلامية الدولية

INTERNATIONAL ISLAMIC SCIENCES JOURNAL

eISSN: 2600-7096

AN ACADEMIC QUARTERLY PEER-REVIEWED JOURNAL

مجلة علمية محكمة، ربع سنوية

Vol : 6 Special Issue : 2 Year : 2022 السنة: 2022 العدد الخاص : 2 المجلد: 6

في هذا العدد:

- حوار أهل النار في دار القرار: دراسة موضوعية
  عبد الله بن حسين بن محمد العمودي
- يوسف أفندي زاده وعنايته بالقرآن الكريم وعلومه
  سالم بن غرم الله بن محمد الزهراني
- الإمام أبو عمرو البصري وراوياه وأصول قراءته وتوجيهها
  أمل بنت عبد الكريم التُركستاني
- الأساليب البيانية الدعوية من خلال الأحاديث النبوية
  عبد العزيز عبد الله القرني
- منهج الإمام الترمذي في التفسير من خلال كتابه "الجامع" وأثره على التفسير والمفسر
  عفاف عطية الله المعبدي
- أحكام المثلية الجنسية بين الفقه الإسلامي والقانون القطري
  خالد عبد الله العون
- الاختيارات الفقهية للإمام الغزالي في باب المعاملات (عقود التوثيقات أنموذجا): دراسة مقارنة
  حسان أبي العلاء النحلاوي، عبدالرحمن عبدالحميد حسانين، محمد مصطفى شعيب
- تعارض المفاسد: دراسة تأصيلية تطبيقية
  عابد يحيى محمد السرحي
- جريان القياس في المقدَّرات في المذهب الحنبلي
  منيب محمود شاكر، صلاح عبد التواب سعداوي
- القواعد المقاصدية المتعلقة بالمصلحة والمفسدة وتطبيقاتها الدعوية عند الإمام الشاطبي
  محمد فهد عبيد الحربي
- جوانب من دفاع الله تعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأثره في الدعوة والداعية
  عبد الله بن صالح بن عبد الله الخضيري

تصدرها

PUBLISHED BY

كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية

FACULTY OF ISLAMIC SCIENCES

AL-MADINAH INTERNATIONAL UNIVERSITY

eISSN: 2600-7096
V.6, Special Issue. 2, July 2022

SOME ASPECTS OF ALLĀH ALMIGHTY'S DEFENSE OF HIS PROPHET MUḤAMMAD PEACE BE UPON HIM AND ITS IMPACT ON THE PREACHING AND PREACHER

Abdullah bin Saleh bin Abdullah AlKhedhairi
Professor at Faculty of Da'wah and Usuleddin, Department of Da'wah and Islamic culture, Umm Al-Qura University.
E-mail: abumaad77@hotmail.com

ABSTRACT

The problem of the research lies in the absence of a scientific study that dealt with (some aspects of Allāh Almighty's defense of his Prophet Muḥammad Peace Be Upon Him and its impact on the preaching and preacher) from a Qurānic perspective. This research aims to present some aspects of Allāh Almighty's defense of his Prophet Muḥammad Peace Be Upon Him and its impact on the preaching and preacher. By employing the inductive and deductive analytical approach; to deduce the preaching's implications and issues related to Allāh's defense of his Prophet (Peace Be Upon Him) from the verses of the noble Qurʾān to be as a guide for the preachers in their preaching process in this life, The research reached the following findings: (1) Allāh Almighty has purified his Prophet outwardly and inwardly; (2) Allāh Almighty has prescribe in His noble book that the victory will be for his Messengers and Prophets over the enemies of his preaching: (3) The preachers should follow the Qurʾān's approach in defending the Prophet (Peace Be Upon Him); so they are confident in the validity of what they are calling for and they will be steadfast in the path of preaching to Allāh, whatever the difficulties they will encounter.

Keyword: Aspects, Defense, The prophet (Peace Be upon Him), The Preaching and Preacher.

eISSN: 2600-7096
المجلد.6، العدد الخاص 2، يوليو 2022م

جوانب من دفاع الله تعالى عن نبيه محمد ﷺ وأثره في الدعوة والداعية

عبد الله صالح عبد الله الخضيري

الأستاذ بكلية الدعوة وأصول الدين، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية – جامعة أم القرى

الملخص

تكمن مشكلة البحث في عدم وجود دراسة علمية تناولت موضوع (جوانب من دفاع الله تعالى عن نبيه محمد ﷺ وأثره في الدعوة) من خلال نصوص القرآن الكريم، ويهدف البحث إلى عرض جوانب من دفاع الله تعالى في كتابه الكريم عن رسوله ﷺ، وأثر ذلك على موضوع الدعوة والداعية، وقد استعمل الباحث المنهج الاستقرائي والتحليلي والاستنباطي؛ لاستنباط التطبيقات والمسائل الدعوية المرتبطة بدفاع الله عن نبيه ﷺ من خلال القرآن الكريم؛ لتكون زادًا للدعاة في حياتهم الدعوية والعملية، وتوصل البحث لجملة من النتائج، منها: أن الله تعالى قد طهَّر نبيه ظاهرًا وباطنًا، وكتب في كتابه الكريم النصر لرسله على أعداء دعوته، وأن على الدعاة أن يجعلوا من منهج القرآن في الدفاع عن النبي ﷺ منهج دعوة وحياة لهم؛ فيثقون بصلاحية ما يدعون إليه، ويثبتون في طريق الدعوة إلى الله مهما واجهتهم الصعاب.

الكلمات المفتاحية: جوانب دفاع، النبي ﷺ، الدعوة، الداعية.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين القائل: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾[غافر: 51]، والقائل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة: ٢٠ – ٢١]، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي خاطبه ربه وخاطب الدعاةَ من خلفه بقوله: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[يوسف: ١٠٨]، ووصفه تعالى بقوله: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾[آل عمران: ١٥٩]

وبعد: فإن الله تعالى قد زكّى خُلق رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[القلم: 5]، وقال تعالى مزكيا منطقه وقوله وفؤاده: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾[النجم: ١ – ١٢]، وإن المشككين وأعداء الدعوة منذ نزول القرآن الكريم على محمد صلي الله عليه وسلم، وهم يناصبونه العداء، ويكيلون له التهم بالرغم من أن دعوته هي دعوة هدى ونور لمن يريد أن يسير في طريق الحق، ويهتدي بهديها، والداعية يجب أن يكون مهتديًا بهديه، ومقتديًا بمنهجه، فقد قال تعالى في حقه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾[الأحزاب: ٤٥ – ٤٧]. ولما كانت مسيرة الإعراض متصلة الأواصر بين أعداء الملة أحببت أن أتطرق لجانب مهم من جوانب دفاع الله تعالى عن رسوله صلي الله عليه وسلم ونصرته، وكشف حقائق أعداء دعوته، ورأيت أن أكتب هذا البحث تحت مسمى: (جوانب من دفاع الله تعالى عن نبيه محمد صلي الله عليه وسلم وأثره في الدعوة)، إسهاماً مني في الدفاع عن رسول الدعوة صلي الله عليه وسلم، وربط ذلك بالدعوة إلى الله تعالى.

مشكلة البحث: تكمن مشكلة هذا البحث في عدم وجود أي دراسة علمية مستقلة تناولت موضوع دفاع الله تعالى عن نبيه صلي الله عليه وسلم من خلال نصوص القرآن الكريم، وتحليلها من كتب التفسير.

أهداف البحث: يروم هذا البحث تحقيق الأهداف الآتية:

1. بيان مفهوم الدفاع ودعوية في اللغة والاصطلاح.
2. توضيح أهم جوانب دفاع الله تعالى عن نبيه صلي الله عليه وسلم في كتابه الكريم.
3. الكشف عن أثر دفاع الله تعالى عن نبيه صلي الله عليه وسلم في موضوعات الدعوة وإعداد الداعية.

أهمية البحث: ترجع أهمية البحث إلى ما يأتي:

1. الكشف عن منهج القرآن في نصرة النبي صلي الله عليه وسلم.

2. الإسهام في دفع كيد أعداء الدعوة عن رسول الله صلي الله عليه وسلم فسنته وسيرته هما المصدر الثاني من مصادر الدعوة.

3. بيان أثر نصرة الله على عن نبيه صلي الله عليه وسلم في كتابه على الدعوة والدراسات الدعوية، مما سيكون له الأثر الكبير خدمة المكتبة الدعوية.

منهج البحث: اتبعت المنهج الاستقرائي التحليلي في تناول قضايا هذا البحث.

الدراسات السابقة: لا يخفى أن المؤتمرات والبحوث والكتابات في الدفاع عن رسول الله صلي الله عليه وسلم كثيرة، ولكن رغم كثرتها إلا أنها لم تتطرق بالتفصيل لجوانب الدفاع عنه صلي الله عليه وسلم ضد شبهات مشركي مكة، ولما كانت انت شبهات أعداء الدعوة اليوم هي نفس شبهات المتقدمين أحببت أن أفرد هذا الجانب بالتحليل والربط بالدعوة إلى الله تعالى، فلقد كان لنصر الله تعالى وكفاية نبيه عليه الصلاة والسلام أثره الكبير على الدعوة، وهذه الجزئية من البحث بحاجة ماسة للتحليل والإثراء، فجاء هذا البحث لسد هذه الفجوة البحثية.

التمهيد

أولاً: تعريف الدفاع في اللغة والاصطلاح:

الدفاع في اللغة: مصدر دفه يدفع دفعاً ودفاعاً، والدال والفاء والعين أصل واحد مشهور، يدل على تنحية الشيء. يقال دفعت الشيء أدفعه دفعا. ودافع الله عنه السوء دفاعاً...وكل ذلك مشتق من أن بعضه يدفع[1]، وتدافع القوم، أي: دفع بعضهم بعضاً[2]، والدفع: الإزالة بقوة[3]. و(اندفع) الفرس، أي: أسرع في سيره[4]، والدفع: دفعك الشيء عن نفسك، وكل شيء أزلته عنك فقد دفعته[5].

وقد ورد لفظ الدفع في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة:251]، وفي قوله:﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾[الحج:40]، والدفع إذا عدي بـ(عن) اقتضى معنى الحماية، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: 38]. ويأتي بمعنى الحماية أيضاً في غير التعدية بـ(عن)، كقوله: ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾[المعارج:2] أي: حامٍ[6].

---

[1] القزويني، أحمد بن فارس بن زكريا، **مقاييس اللغة**، ج2، ص288-289.

[2] الجوهري، إسماعيل بن حماد، **الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)**، ج3، ص1208.

[3] الإفريقي، محمد بن مكرم، ابن منظور المصري، **لسان العرب**، ج8، ص87.

[4] الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، **مختار الصحاح**، ص105.

[5] الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن، ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ج2، ص660.

[6] الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ج2، ص603.

وعليه: فالدفع والدفاع يتضمن معنى الحماية والإزالة والنفع والمغالبة والمزاحمة والتنافس والصد والقتال، ويتصل بكل معنىً من هذه المعاني وفق مقتضيات الحال، ويتدرج من الكلمة إلى السيف، ولا يلجأ إلى القتال إلا للضرورة.

ودفع الله تعالى يتضمن الحماية والرعاية لأنبيائه ورسله ولعباده وأوليائه من المؤمنين، وإزالة كل الشرور والمفاسد عنهم، وإنالتهم ما وعدهم في الحياة الدنيا من ظهور واستخلاف وتمكين وأمان واطمئنان وسعة في الرزق وبركة في العمر والعمل، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[الحج: 38][7].

فالدفاع حماية ربانية، ومعية إلهية خاصة لسيد الخلق عليه الصلاة والسلام تحوطه في قوله وفعله وحركته وسكونه.

ثانيًا: تعريف (الدعوة) في اللغة والاصطلاح:

الدعوة في اللغة:

مصدر دعا يدعو دعوةً ودُعاءً. وقد دعا فهو داعٍ، والجمع دعاة. وهي: الطلب، والمناداة. يقال: دعا بالشيء؛ أي: طلب إحضاره. ودعا إلى الشيء؛ أي: حثّ على قصده.

والدعوة: النّداء، ومنه: دعا فلاناً؛ أي: صاح به وناداه.

والدعوةُ: السَّوْقُ. يُقال: دعاه إلى الأمير؛ أي: ساقه إليه. ويقال: دعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى القتال، ودعاه إلى المذهب؛ بمعنى: حثّه على اعتقاده وساقه إليه. وتداعى القوم؛ أي: دعا بعضهم بعضًا حتى يجتمعوا[8].

الدعوة في الاصطلاح:

تطلق على أمرين:

الأول: نشر وتبليغ الدين الإسلامي وتعاليمه، ومن تعريفاتها:

أنها الدعوة إلى الإيمان بالله وبما جاءت به رسله؛ بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه[9].

والثاني: العلم الذي يهتم بنشر الدين وتبليغه للناس، وقد عرّفت بتعاريف منها:

هي قيامُ مَن له الأهليَّةُ بدعوة الناس جميعًا لاقتفاء أثرِ الرسول صلي الله عليه وسلم، والتَّأسِّي به قولًا وعملًا

---

[7] الفيروز آبادي، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ج2، ص603.

[8] الراغب الأصفهاني، أبو القاسم حسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، ص169-170، ابن منظور، **لسان العرب** ج14، ص259، مصطفى، إبراهيم، وآخرون، **المعجم الوسيط**، ج1، ص286.

[9] الحراني، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج15، ص157- 158.

واعتقادًا، بالوسائل والأساليب المشروعة التي تتناسب مع أحوال المدعوين في كل زمان ومكان[10].

فالدعوة تعني: نشر وتبليغ الدِّين الإسلامي وتعاليمه، في ضوء أسس ومعارف علمية ومنهجية، تضمن البصيرةَ الواضحة والبلاغ المبين.

3. جوانب من دفاع الله تعالى عن نبيه محمد صلي الله عليه وسلم

في القرآن الكريم فيض من الآيات التي تثني على النبي صلي الله عليه وسلم وتزكّيه ظاهراً وباطناً، وتبين كماله صلي الله عليه وسلم خلْقا وخلُقاً ومعاملة، وفي هذا الجزء سوف نستعرض أهم الشبهات التي أثارها أعداء الدعوة حول النبي صلي الله عليه وسلم ورد الله تعالى عليهم ودفاعه عن نبيه، كما يأتي:

1. 3 نفي السحر عنه صلي الله عليه وسلم:

أعظم فرية افتراها أعداء الدعوة على النبي صلي الله عليه وسلم لصدَّ الناس عن دعوته القول بأنه ساحر، وكان قد تولى كبر ذلك الوليد بن المغيرة، ثم شايعه على ذلك أعداء الدعوة حتى زماننا.

وما من شك أن الله سبحانه وتعالى قد اختار لنبيه صلي الله عليه وسلم الحياة الفاضلة، وأسبغ عليه نعمه الظاهرة، وخصه بكمالات المعاني الفاخرة ورسول الله صلي الله عليه وسلم روح وجسد كغيره من البشر؛ وإنما اختصه الله عز وجل وقواه، واصطفاه في حياتيه في اليقظة والنوم والصحو والحلم، فكان ذلك بينا من رسل الله صلي الله عليه وسلم أن أعطاه قوة الجسد، وضاعف على جسده البلاء ومنحه الإرادة والعزم الشديد وأنزل عليه القول الثقيل وبهما احتمل رسول الله صلي الله عليه وسلم الرسالة العظيمة، وبلغ الوحي الكريم.

والكلام في موضوع نفي السحر عنه صلي الله عليه وسلم كلام عظيم وخطره جليل، ثبت عن عائشة رضي الله عنها قالت: «سحر رسول الله صلي الله عليه وسلم رجل من بني زريق يقال له: لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي، لكنه دعا ودعا ثم قال: يا عائشة، أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل، فقال: مطبوب، قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة[11]، وجف طلع نخلة ذكر، قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذروان فأتاها رسول الله صلي الله عليه وسلم في ناس من أصحابه، فجاء، فقال: يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحناء، أو كأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين، قلت: يا رسول الله، أفلا أستخرجه، قال: قد عافاني الله، فكرهت

---

[10] الرحيلي، حمود، **منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام**، ج1، ص40.

[11] الْمُشَاطَةُ: مَا يَخْرُجُ مِنَ الشَّعَرِ إِذَا مُشِطَ. وَالْمُشَاقَةُ: مِنْ مُشَاقَةِ الْكَتَّانِ.

أن أثور على الناس فيه شرا، فأمر بها فدفنت»[12].

وروى البخاري: قالت عائشة: «فأتى النبي صلي الله عليه وسلم البئر حتى استخرجه، فقال: هذه البئر التي أريتها، وكأن ماءها نقاعة الحناء، وكأن نخلها رؤوس الشياطين. قال: فاستخرج، قالت: فقلت: أفلا، أي تنشرت، فقال: أما والله فقد شفاني، وأكره أن أثير على أحد من الناس شرا»[13].

وهذه الرواية تثبت أن النبي صلي الله عليه وسلم قد استخرج السحر وهذا الحديث فيه معان كثيرة في إثبات دلائل النبوة عند من يثبت صحة الحديث عكس ما يتوهم منتقدوه وقد أنكر طائفة من المسلمين هذا الحديث وأنه مخالف لنص القرآن الكريم وليس لدى أي مؤمن حرج في إثبات ما صح وتلقته الأمة بالقبول كما ورد في كتاب الله تعالى ونقل في السنة الصحيحة.

وليس لدى أي منصف وعاقل مهتد عقله بالشرع أن ليس بين كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلي الله عليه وسلم أي تعارض أو اختلاف إلا ما توهمه العقل وانتفى ببيان صحة المصدرين وأن العقل قد لا يدرك مراد الشارع الحكيم.

قال أبو عبد الله محمد بن علي المازري رحمه الله: "أنكر المبتدعة هذا الحديث، وزعموا أنه يحط منصب النبوة، ويشكك فيها قالوا: وكل ما أدى إلى ذلك فهو باطل، وزعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعه من الشرائع، إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى جبريل وليس هو ثم، وأنه يوحي إليه بشيء ولم يوح إليه بشيء. وهذا كله مردود؛ لأن الدليل قد قام على صدق النبي صلي الله عليه وسلم فيما يبلغه عن الله تعالى وعلى عصمته في التبليغ، والمعجزات شاهدات بتصديقه، فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل، وأما ما يتعلق ببعض الأمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر؛ كالأمراض فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته صلي الله عليه وسلم عن مثل ذلك في أمور الدين"[14].

وقال ابن القيم: "وهذا الحديث ثابت عند أهل العلم بالحديث متلقى بالقبول بينهم، لا يختلفون في صحته، وقد اعترض عليه كثير من أهل الكلام وغيرهم، وأنكروه أشد الإنكار، وقابلوه بالتكذيب، وصنف بعضهم فيه مصنفا مفرداً حمل فيه على هشام، وكان غاية ما أحسن القول فيه أن قال: غلط واشتبه عليه الأمر، ولم يكن من هذا شيء، قال لأن النبي صلي الله عليه وسلم لا يجوز أن يسحر، فإنه يكون تصديقاً لقول الكفار: ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسۡحُورًا﴾[الفرقان: 8]، وهذا الذي قاله هؤلاء مردود عند أهل العلم؛ فإن هشاماً من أوثق الناس وأعلمهم، ولم يقدح فيه أحد من الأئمة بما يوجب رد حديثه فما للمتكلمين وما لهذا الشأن

---

[12] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، كتاب الطب، باب السحر، رقم5763، ج7، ص136، النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، كتاب السلام، باب السحر، رقم2189، ج4، ص1720.

[13] البخاري، **صحيح البخاري**، باب السحر، رقم5765، ج7، ص137.

[14] المازري، أبو عبد الله محمد بن علي، **المعلم بفوائد مسلم**، ج3، ص93.

وقد رواه غير هشام عن عائشة وقد اتفق أصحاب الصحيحين على تصحيح هذا الحديث ولم يتكلم فيه أحد من أهل الحديث بكلمة واحدة والقصة مشهورة عند أهل التفسير والسنن والحديث والتاريخ والفقهاء وهؤلاء أعلم بأحوال رسول الله وأيامه من المتكلمين.

قال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن يزيد بن حباب عن زيد ابن الأرقم قال سحر النبي صلي الله عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك أياما قال فأتاه جبريل فقال إن رجلا من اليهود سحرك وعقد لذلك عقدا فأرسل رسول الله صلي الله عليه وسلم عليا فاستخرجها فجاء بها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام رسول الله صلي الله عليه وسلم كأنما أنشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودي ولا رآه في وجهه قط رواه ابن أبي شيبة، وقال ابن عباس وعائشة كان غلام من اليهود يخدم رسول الله صلي الله عليه وسلم فدنت إليه اليهود فلم يزالوا حتى أخذ مشاطة رأس النبي صلي الله عليه وسلم وعدة أسنان من مشطه فأعطاها اليهود فسحروه فيها وتولى ذلك لبيد بن الأعصم رجل من اليهود فنزلت هاتان السورتان فيه"[15].

ورمي النبي صلي الله عليه وسلم بالسحر شبهة مكرورة، قيلت في بعض أنبياء الله عليهم السلام ممن ذكرهم الله تعالى في كتابه الكريم كما في قول قوم صالح له عليه السلام: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴾[الشعراء: ١٥٣ – ١٥٥]، وقول قوم شعيبٍ له عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[الشعراء: ١٨٥ – 187]، وقول قوم موسى له عليه السلام: ﴿ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾[النمل: ١٢ – ١٣]، وقوله: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴾[يونس: ٧٦ – 77]، وقول قوم عيسى له عليه السلام، في قول الله تعالى: ﴿ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾ [المائدة: 110].

وقول أعداء نبينا محمدٍ صلي الله عليه وسلم له في مواضع متعددة منها: قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾[الأنعام: ٧]، وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾[هود: ٧]، وقوله: ﴿ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ

---

[15] الزرعي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، المعروف بابن قيم الجوزية، **بائع الفوائد**، ج2، ص449.

وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾[الإسراء: ٤٦ – ٤٨]، وقوله: ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾[الأنبياء: ٣]، وقوله: ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٧ – ٩]، وقوله: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[سبأ: ٤٣]، وقوله: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[الصافات: ١٤ – ١٥]، وقوله: ﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَـٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴾[الزخرف: ٢٩ – ٣٠]، وقوله: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأحقاف: ٧ – 9]، وقوله: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾[القمر: ١ –2]، وقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[الصف: 6]، وقوله: ﴿ وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَـٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾[المدثر: ١١ – ٢٥].

ويتضح طريق القرآن في رد هذه الشبهة فيما يأتي:

1.الأمر بالصبر وعدم الضيق بهم وبقولهم:

وقد أمر الله تعالى نبيه صلي الله عليه وسلم إزاء هذه الحملة الشعواء بعدم الضيق أو الحزن والحسرة والأسف عليهم، وألا يصدَّنه ذلك ولا يثنينه عن دعائهم إلى الله عز وجل آناء الليل وأطراف النهار كما قال جل جلاله: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾[الحجر 97] الآية[16]، وأن ما أتى به الكفار من شبهةٍ منفي ومتقطّعة عليهم الحجج في ذلك، يقول الألوسي: "والمراد نفي أن يكون ما أتوا به قادحا في نبوته صلي الله عليه وسلم،

[16] الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج2، ص440.

ونفى أن يكون عندهم ما يصلح للقدح قطعاً على أبلغ وجه فإن القدح فيها إنما يكون في القدح بالمعجزات الدالة عليها وما أتوا به لا يفيد ذلك أصلاً وأنى لهم بما يفيده"[17].

2.رد شبههم وكيدهم وبيان ضلالهم وأن ذلك لا يقدح في نبوته صلي الله عليه وسلم:

كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾[الفرقان: ٧ – ٩].

قال الفخر الرازي: "قولهم: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾، وقد تقدمت هذه القصة في آخر سورة بني إسرائيل فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة من وجوه أحدها قوله: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾، وبيانه: أن الذي يتميز الرسول صلي الله عليه وسلم به عن غيره هو المعجزة، وهذه الأشياء التي ذكروها لا يقدح شيء منها في المعجزة فلا يكون شيء منها قادحاً في النبوة، فكأنه تعالى قال انظر كيف اشتغل القوم بضرب هذه الأمثال التي لا فائدة فيها لأجل أنهم لما ضلوا وأرادوا القدح في نبوتك لم يجدوا إلى القدح فيه سبيلاً ألبتة، إذ الطعن عليه إنما يكون بما يقدح في المعجزات التي ادّعاها لا بهذا الجنس من القول"[18].

فإذا عُلم ذلك عرفنا: "أنه لا دليل في الآية على منع بعض التأثيرات العرضية التي لا تعلق لها بالتبليغ والتشريع"[19].

3.عد اتهامهم له صلي الله عليه وسلم **بالسحر ضرباً من الظنون والأوهام:**

كما قال تعالى: ﴿ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾[سبأ: 53]، فقوله: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ يقول: وهم اليوم يقذفون بالغيب محمدًا من مكان بعيد، يعني أنهم يرجمونه، وما أتاهم من كتاب الله بالظنون والأوهام، فيقول بعضهم: هو ساحر، وبعضهم شاعر، وغير ذلك[20].

قال القرطبي: "قوله تعالى: (وقد كفروا به) أي: بالله عز وجل، وقيل: بمحمد (من قبل) يعني: في الدنيا. (ويقذفون بالغيب) العرب تقول لكل من تكلم بما لا يحقه: هو يقذف ويرجم بالغيب. (من مكان بعيد) ... أي: يرمون بالظن، فيقولون: لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار، رجماً منهم بالظن، قال قتادة. وقيل: (يقذفون): أي: يرمون في القرآن، فيقولون: سحر وشعر وأساطير الأولين. وقيل: في محمد، فيقولون ساحر شاعر كاهن مجنون. (من مكان بعيد) أي: أن الله بعد لهم أن يعلموا صدق محمد. وقيل: أراد البعد عن القلب، أي من مكان بعيد عن

---

[17] الألوسي، محمود بن عبد الله الحسيني، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج18، ص239.

[18] **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ج24، ص46.

[19] الشنقيطي، محمد الأمين، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ج4، ص61.

[20] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج20، /429

قلوبهم"[21].

ومن خلال هذا النص يتضح أن قول هؤلاء في شأنه صلي الله عليه وسلم مردود عليهم، لكونه رجماً بالغيب ولا يستند إلى دليل من الشرع ولا العقل.

4. الحكم على كفار قريش بالكفر والشك:

قال تعالى: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ۝٢ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ۝٣ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَاقٌ ۝٧ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾[ص: 1 – 8]. فحكم عليهم بالكفر حيث؛ "جعلوا حاله سحراً وكذباً؛ لأنهم لما لم تقبل عقولهم ما كلمهم به زعموا ما لا يفهمون منه سحراً إذ كانوا يألفون من السحر أقوالا غير مفهومة ...وزعموا ما يفهمونه ويحيلونه مثل ادعاء الرسالة عن الله كذبا. وبينوا ذلك بجملتين: إحداهما: (أجعل الآلهة إلها واحدا)، والثانية جملة: (أأنزل عليه الذكر من بيننا)، فجملة: (أجعل الآلهة إلها واحدا) بيان لجملة: (هذا ساحر كذاب)، أي: حيث عدوه مباهتا لهم بقلب الحقائق والأخبار بخلاف الواقع. والهمزة للاستفهام الإنكاري التعجيبي، ولذلك أتبعوه بما هو كالعلة لقولهم: (ساحر) وهو: (إن هذا لشيء عجاب)، أي: يتعجب منه كما يتعجب من شعوذة الساحر"[22].

2. 3 نفي الكذب عنه صلي الله عليه وسلم:

أَذهب القرآن الكريم كل ما يريب عن النبي صلي الله عليه وسلم ودَفَعَ عَنه كل ما يشين، وحلاَّه الآي القرآني بأجمل حلَّة وخير لباس، فهل لهذا النبي الكريم صلي الله عليه وسلم أن يكذب، وهل يحتاج لمثل ذلك؟

لقد نشأ صلي الله عليه وسلم على أحسن الخلال وأكرم الصفات، ومنذ ولد ولم يبد منه ما يشينه لا في خلق ولا دين فأصدق الناس كان وأبر الناس كان وأوفى الذمم كان ولذا فما يحتاج لكذبة تقويه ولا لغش يرقيه فأبعد الناس عن الفحشاء وأقربهم إلى الفضيلة والصفاء ومن هنا يستدل على صدق الصادق بمعرفة حاله قبل خبره وبمظهره قبل مخبره.

ودلالات القلوب وعفة اللسان وكريم العشرة هي أبرز الملامح التي يتوج به الصادق ويحلى بها الصديق، فالسيرة تدل على السائر، والذكر يدل على الموصوف به، وحلية الأخلاق مجموعة من إنسان مزدان بأكمل الأوصاف.

ولنباهة الإنسان العاقل أن يستدل بمسيرة الإنسان طول حياته وإنما تراكيب العمل اليومية جزء من حياة الشخص

---

[21] **الجامع لأحكام القرآن**، ج14، ص317

[22] التونسي، محمد الطاهر ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ح14، ص317

لا تتوارى عنه ولا تتخلف فيها شخصيته، ومن هنا فإن محمداً صلي الله عليه وسلم لم يعهد عنه طول حياته أنه كذب، ولا أنه خان ولا أنه فجر ولا أنه غدر، والتوسع في ذكر النفي عن الشخصية المستقيمة لا يحقق إلا مزيدا من النفي للجانب السلبي، "والكذاب هو: الذي يخبر عن الشيء لا على ما هو عليه. ورسول الله صلي الله عليه وسلم يخبر عن وجود الصانع القديم الحكيم، وعن الحشر والنشر وسائر الأشياء التي تثبت بدلائل العقول صحتها فكيف يكون كذاباً"[23].

وللناس مسلكان في تمييز الصادق من الكاذب في الخبر: "المسلك الأول: النوعي هو مما استدل به النجاشي على نبوته فإنه لما استخبرهم عما يخبر به واستقرأهم القرآن فقرؤه عليه قال إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة وكذلك قبله ورقة بن نوفل لما أخبره النبي صلي الله عليه وسلم بما رآه وكان ورقة قد تنصر وكان يكتب الإنجيل بالعبرانية فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك ما يقول فأخبره النبي صلي الله عليه وسلم بخبره فقال هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى وإن قومك سيخرجونك فقال النبي صلي الله عليه وسلم أو مخرجي هم فقال نعم لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن توفي"[24]. والمسلك الثاني: الشخصي استدل به هرقل ملك الروم فإن النبي صلي الله عليه وسلم لما كتب إليه كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام طلب هرقل من كان هنا من العرب وكان أبو سفيان قد قدم في طائفة من قريش في تجارة إلى غزة فطلبهم وسألهم عن أحوال النبي صلي الله عليه وسلم فسأل أبا سفيان وأمر الباقين إن كذب أن يكذبوه فصار يجدهم موافقين له في الأخبار..."[25].

ومن هنا فإن القرآن الكريم أسقط تهمة الكذب؛ لأنها غير مبررة ولا صادقة؛ بل حكم على قائليها بالكفر، والشك، والجهل والسفه، فقال تعالى مسلياً النبي صلي الله عليه وسلم بحال مكذبي الرسل من قبله: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۖ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُواْ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۖ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾[ص: ٤ - ١٤] وذلك: "إنكاراً عليهم وتكذيباً لهم فعرف بذلك أن في ضمن المعنى، والقرآن ذي الذكر إنك مرسل حقاً، ولو عجبوا من

---

[23] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ج26، ص156.

[24] البخاري، **صحيح البخاري**، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم3، ج1، ص7، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم160، ج1، ص139.

[25] الحراني، تقي الدين أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، **شرح العقيدة الأصفهانية**، ج1، ص126.

مجيئك منذراً لهم وزعموا أنك ساحر كذاب، أي فهم الذين عجبوا من الحق الذي لا شك فيه وزعموا أن خاتم الرسل وأكرمهم على الله ساحر كذاب"[26].

ولم يكن هذا الادعاء الزائف بكذب النبي صلي الله عليه وسلم إلا امتداداً لمواقف المخالفين لرسل اللهِ عليهم الصلاة والسلام يقول تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ ﴿٢٥﴾ سَيَعۡلَمُونَ غَدٗا مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ٱلۡأَشِرُ ﴾[القمر: ٢٣ – ٢٦]، وهي شبهة لا تمت إلى العقل السليم، والمنطق بصلة، وإنما هو التعنُّت في رفض دعوة المرسلين.

وقد ذكر الرازي أن شبه الكافرين توجَّهت إلى أنحاء ثلاثَةٍ هي: "أحدها: ما يتعلق بالإلهيات وثانيها: ما يتعلق بالنبوات وثالثها: ما يتعلق بالمعاد"[27]. ففي قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴾ أي: ساحر فيما يظهره من الخوارق، كذَّاب فيما يسنده إلى الله تعالى من الإرسال والإنزال[28].

وتوجيه الكذب من المشركين كما في الآية لأجل التهم الأربع باطل، وهذه التهم هي: الأولى: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴾. والثانية: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ﴾. والثالثة: ﴿ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ﴾. والرابعة: ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ ﴾.

وكل هذه الشبه لا تقدم ولا تؤخر في الميزان العدل عند الله تعالى، فالمرسل هو الله، والمتفضل عليه، والمجازي على العمل هو الله تعالى؛ ولذا قال تعالى: ﴿ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴾، يقول الرازي: "ومحمد صلي الله عليه وسلم كان من رهطهم وعشيرتهم، وكان مساوياً لهم في الأسباب الدنيوية، فاستنكفوا من الدخول تحت طاعته ومن الانقياد لتكاليفه وعجبوا أن يختص هو من بينهم برسالة الله وأن يتميز عنهم بهذه الخاصية الشريفة وبالجملة فما كان لهذا التعجب سبب إلا الحسد"[29].

والناظر في واقع حياته صلي الله عليه وسلم وسيرته يدرك تهافت هذه الدعوى لسببين؛ الأول: أنه لم يعرف عن رسول الله صلي الله عليه وسلم أنَّه كذب على أحد من الناس أو خان أمانة من ائتمنه، أو لجّ في خصومة؛ وإنما كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يلقب بالصادق والأمين، فأين مكان التهمة حينئذ؟، ولو علم أهل مكة والمشركون أنه قد كذب لحفظوا عنه ذلك وذكَّروه بها، ولعابوا ما جاء به من النبوَّة والرسالة لأجل ما كذب به من أوَّل الأمر، ولكن الأمر جاء على خلاف ما يشتهون، فلم يجدوا قرينةً تدلُّ على كَذبه صلي الله عليه وسلم، بل ما

---

[26] الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ج6، ص328.

[27] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ج26، ص156.

[28] ينظر: العمادي، أبو السعود محمد بن محمد، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج7، ص214.

[29] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ج26، ص154.

عهدوا عنه إلا الصدق، وهذا ما دل عليه قول أبي سفيان رضي الله تعالى عنه لهرقل عظيم الروم، والاستدلال العاقل من هرقل، حين قال: (فقد أَعرف أَنَّه لم يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى الله)[30].

فالواجب إذاً أن ينظر فيما أتى به إن صدقاً وإن كذباً، وهو ما يؤكد السبب الثاني، وهو: النظر في خبره وكلامه وقوله وما أتى به من أمر؛ فإن الكاذب لا بدَّ وأن يوجد في كلامه تناقضٌ، أو خللٌ أو ضعف مركّب في حديثه، وهو ما لم يكن موجوداً في كلام رسول الله صلي الله عليه وسلم، ولا فيما أوحى به الله إليه؛ ومن هنا طلب رسول الله صلي الله عليه وسلم أن يخَلُّوا بينه وبين دعوة ربه، وأن يكِلُوه إلى صدقه وأمانته، فقال ﷺ: (أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً)[31].

بل إن الشواهد الكثيرة والأحداث التي عاشها رسول الله صلي الله عليه وسلمطيلة حياته أثبتت صدقه في حديث الشهادة؛ والبيّنات والأدِلَّة وأوضحت صدْقه في خبر الغيب عن الناس والكون والمجتمعات، وما يكون في الحياة وبعد الممات؛ فوجب لذلك تصديق الرسول الأكرم صلي الله عليه وسلم فيما أخبر به عن نفسه وعن ربِّهِ وعن وحيه، وقبول ما يترتب على وعده ووعيده فيما أتى به.

ومن خلال العرض السابق يتضح أن طريق القرآن في نفي الكذب عن رسول الله صلي الله عليه وسلم يتسم بالآتي:

- وصف المشركين بالشك وعلم التمييز والفهم.
- الحكم عليهم بالكفر والإشراك.
- وصفهم بالكذب ومجافاة الحق.
- التهديد والوعيد الشديد لمن تولى تلك المقالة الكاذبة الفاسدة.
- بيان عاقبة المكذبين من الأمم الماضية حتى يتعظوا بهم.

3. 3 نفي الجنون والشِّعر عن النبي صلي الله عليه وسلم:

أَوْحَى اللهُ عزَّ وجلَّ إلى نَبيِّهِ صلي الله عليه وسلم بالقرآن الكريم وحمَّله مسؤولية البلاغ المبين، وقد أدى ذلك إلى أن تناوله المخالفون بالعيب والثلب؛ وهم يعلمون رجاحة عقله، ونزاهة قوله، وصدق معاملته، ولكن أعيتهم الحيلة فيما رأوا، فاختاروا إلقاء التهم جِزَافاً أياً كانت وعلى أي وجهٍ تصيب.

إن كلام النبوة ونور الوحي قد لا تقدره بعض العقول أو تعجز عن فهمه، وهو ما كان من بعض المشركين؛ فحال النبي صلي الله عليه وسلم ووصفه وشخصه هو كلام العاقل الحصيف، ولكن ما أتى به لم تدرك فحواه عقولهم، ولم

---

[30] البخاري، **صحيح البخاري**، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم6، ج1، ص8.

[31] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب عليه السلام وخالد بن الوليد رضي الله عنه إلى اليمن قبل حجة الوداع، رقم4351، ج5، ص163، النيسابوري، **صحيح مسلم**، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، ج2، ص742.

تَعيَ معناه فهومهم، فقالوا عن الوحي: ﴿ قَالُوٓاْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ﴾[النمل: ١٣]، وقالوا عن الرسول: ﴿مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٞ ﴾[الدخان: ١٤]، وأيُّ سحرٍ وأيُّ جنونٍ يتحدَّثون عنه، وَهَلْ كَانَ رَسُوْلُ اللهِ صلي الله عليه وسلم مَجْنُوناً.

إنَّ النبوَّة والرسالة ملازمتان للعقل والحكمة، فمَنْ أُرْسِلَ بِأَحَدِهِمَا أو بِكِلَيْهما فقَد أوتي كمال العقل الإنساني، وقوة العزم الإيماني؛ ومن هذا الباب في الكمال وأن الوحي الإلهي ثقيل لا يحتمله إلا الأقوياء والأشدَّاءُ من الرجال قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴾[المزمل: ٥]، ومجمل القول في هذا أن الكمال في البلاغ والقيام بأعباء الرسالةِ؛ يؤكد كمال العقل والحكمة في الإنسان .

وقد ساق الله تعالى قول المشركين عن رسول الله صلي الله عليه وسلم بأنه شاعر أو مجنون أو معلَّم في مواضع متعددة، من كتابه الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ۝٦ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[الحجر: ٦، ٧]، وقوله: ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ۝٣٦ بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾[الصافات: ٣٦، ٣٧] وقوله: ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ۝١٣ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ﴾[الدخان: ١٣، ١٤]، وقوله: ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ۝٥١ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[القلم: ٥١، ٥٢]، و(الذِّكر) لا يقوله مجنون، ولا يحمله مجنون، وصدق الله وكذب المفترون.

وفي هذه الآيات الاتهام الصريح من المشركين لرسول الله صلي الله عليه وسلم بأنه مجنون؛ ومن الواضح أن صدور مثل هذه التهمة الباطلة ما هو إلا امتدادٌ لرفضهم دعوة الرسول صلي الله عليه وسلم بأي شكلٍ من الأشكال، وكذلك قيل للرسل من قبلهِ صلي الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ۝٥٣ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ﴾[الذاريات: ٥٢ – ٥٤]، فالاعتبار ههنا إنما هو ببلاغه صلي الله عليه وسلم لرسالة الله تعالى إليه وما هو بملوم على أيّ حال؛ إذ لن يعجب الكفار مهما أتى به من آياتٍ أو بيّنَاتٍ ومعْجِزَاتٍ.

والباعث لمثل تلك التهمة من المشركين هو السخرية والاستهزاء من جهة، ومن جهة أخرى الحسد والحقد الذي أدَّى بهم إلى إنكار الحقيقة القرآنية، والتخفّي وراء الشُّبَهِ والتهم والإيذاء النفسي للرسول صلي الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين. ومن أهم المهمَّات في هذا الجانب في ردّ هذه التهمة الباطلة سيرة رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو من علمت قريش مَنْ هو في العقل والحكمة والأخلاق؛ ولذا اضطرب قول المشركين في رسول الله صلي الله عليه وسلم حين قالوا " فتولوا عنه وقالوا معلم مجنون "فالمتعلم لا يكون مجنونا، والمجنون لا يتعلَّمُ فالجنون ينافي العلم، والعلم ينافي الجنون، فالجمع بين الضدين ممتنعٌ في العقول السليمة، والمنطق الصحيح حينئذٍ أن كلاَمهم ههنا هو حقيقة الجهل بالمعلوم، وهو المركَّب في الحقيقة لعَيْنِ الجنون. وكذلك اضطرب قولهم حين زعموا أن رسول الله صلي الله عليه وسلم شاعرٌ مجنون، فالكلام المعقول، واللفظ المنطوق، والأدب الموضوع؛ تتنافى والإسفاف اللفظي للشاعر المجنون زعماً فقال المشركون:﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴾[الصافات: ٣٦]، "فجعل المشركون له مثلا

لا يماثله بل بينهما شبه مع وجود الفارق المبين وهذا هو القياس الفاسد فلما كان الشعر كلاما له فواصل ومقاطع والقرآن آيات له فواصل ومقاطع قالوا شاعر ولكن شتان وكذلك الكاهن يخبر ببعض المغيبات ولكن يكذب كثيرا وهو يخبر بذلك عن الشياطين وعليه من آثارهم ما يدل على أنه أفاك أثيم كما قال تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٣]، ثم قال: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾[الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٦]، فذكر سبحانه الفرق بين النبي وبين الكاهن والشاعر وكذلك الساحر لما كان يتصرف في العقول والنفوس بما يغيرها، وكان من سمع القرآن وكلام الرسول صلي الله عليه وسلم خضع له عقله ولبه، وانقادت له نفسه وقلبه، صاروا يقولون ساحر وشتان، وكذلك مجنون لما كان المجنون يخالف عادات الكفار وغيرهم لكن بما فيه فساد لا صلاح والانبياء جاءوا بما يخالف عادات الكفار لكن بما فيه صلاح لا فساد قالوا: مجنون، قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾[الذاريات: ٥٢] به بل هم قوم طاغون فتارة يصفونه بغاية الحذر والخبرة والمعرفة فيقولون ساحر وتارة بغاية الجهل والغباوة والحمق فيقولون مجنون وقد ضلوا في هذا وهذا، كما قال تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾[الإسراء: 48]، فهم بمنزلة السائر في الطريق وقد ضل عنها يأخذ يمينا وشمالا ولا يهتدي الى السبيل التي تسلك والسبيل التي يجب سلوكها قول الصدق والعمل بالعدل[32].

يلتحق بهذا من شبَّه النبي صلي الله عليه وسلم بالساحر أو الساحر والمشعوذ بالنبي، والذي يفهم حقائق الرجال يدرك البوْن بين هؤلاء وأولئك، فالسيرة المحمودة، والأعمال المشروعة، والبيان السليم هي مُدْرَكاتٌ يأخذ بها العقل الصحيح، ويستدل بها على الفهم الصواب: فمن جعل النبي صلي الله عليه وسلم ساحرا أو مجنونا هو بمنزلة من جعل الساحر أو المجنون نبياً.

وهذا من أعظم الفرية والتسوية بين الأضداد المختلفة وهو شر من قول من يجعل العاقل مجنونا، والمجنون عاقلا، أو يجعل الجاهل عالما، والعالم جاهلاً، فإن الفرق بين النبي وبين الساحر والمجنون أعظم من الفرق بين العاقل والمجنون والعالم والجاهل وموسى صلوات الله عليه أمر بتصديق من يأتي بعده من الأنبياء الصادقين كما أمر بتكذيب الكذابين وأما السحرة فإنه أمر بقتلهم وفي التوراة سأقيم لبني إسرائيل من إخوتهم نبيا مثلك اجعل كلامي على فمه كلكم يسمعون وهذا يقتضي طاعة من يقوم بعده من الأنبياء ثم من الناس من يعين هذا فاليهود يقولون هو يوشع والنصارى يقولون هو المسيح وبعض المسلمين يقولون هو محمد صلي الله عليه وسلم يحتجون على ذلك بحجج كثيرة قد ذكرت في غير هذا الموضع ومنهم من يقول بل هذا اسم جنس وهو عام في كل نبي يأتي بعده لئلا

---

[32] الحراني، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، **النبوات**، ج1، ص222.

يكذبوه كما فعلت اليهود و أنكروا النسخ وهذا القول أقرب فيدخل في هذا المسيح ومحمد ومن قبلهما من أنبياء بني إسرائيل فان المقصود أمرهم بتصديق الأنبياء وطاعتهم وأن الله سبحانه ينزل على الأنبياء كلامه فالذي يقولونه هو كلام الله ما سمعوا منه... وقد بسط القول في أن الناس يعلمون بالضرورة أن الآيات التي يأتي بها الأنبياء آيات من الله وعلامة أعلم بها عباده أنه أرسلهم وأمرهم بطاعتهم والذين كذبوا بها كانوا يقولون ليست من الله بل هي سحر أو كهانة أو نحو ذلك لا يقرون بأنها آية من الله ويقولون مع ذلك قد يخلقها الله لغير التصديق أو يخلقها ليضل بها الخلق أو نحو ذلك فإن بسط هذه الأمور له موضع آخر"[33].

إنَّ الجنون آفةٌ عقليةٌ لازمةٌ للإنسان متقدِّمَةٌ على العقل وُجوداً، فتعريف الجنون هو: "حائل بين النفس والعقل"[34]، يمنعُ من الإدراك، وقد يفقد المشاعر والإحساس، وما كان رسول الله صلي الله عليه وسلم مجنونا، ولم يكن جبريل عليه الصلاة والسلام مجنوناً، فقد نفى الله تعالى عن الذات الموصوفة بذلك الوصف أن تكون متدنّسةً به، يقول تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ٢٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ٢٥ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ٢٦ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[التكوير: ١٩ – ٢٧].

فالصفات المذكورة تنافي الجنون، فنفى الله سبحانه وتعالى عنه صلي الله عليه وسلم نقص التلقي بنفي آفة الجنون فهو في كمال العقل وقوة الإدراك، ومن قبل أثبت له كمال الخلق، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ [القلم: ٤]، وأثبت له اللقيا فلم يلتبس عليه جبريل بغيره وهي أعلى درجات السند فاجتمع له صلي الله عليه وسلم الكمال الخلقي والكمال الخلقي بضم الخاء وكسرها أي الكمال حساً ومعنى ثم نفى عنه التهمة بأن يضمن بشيء مما أرسل به مع نفاسته وعلو منزلته وجليل علومه وأنه كلام رب العالمين[35].

وقد أجمع المفسِّرون على أن التعيين ههنا ل: (صاحبكم) هو محمدٌ صلي الله عليه وسلم[36]، وأن المراد بالآية نفي الجنون عنه صلي الله عليه وسلم، يقول ابن عطيَّة: "أجمع المفسِّرون على أن قوله تعالى: (وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ) يراد به محمدٌ صلي الله عليه وسلم "[37].

وهذا الإجماع منعقدٌ عقلاً وشرعاً ووصْفاً؛ مؤيدٌ بالشواهد والقرائن، والأدلة والبراهين، ومن أعظم الآيات التي نفت الجنون والشعر عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قول الله تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا

---

[33] الحراني، **النبوات**، ج2، ص172.

[34] الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص99.

[35] الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ج8، ص447.

[36] ينظر: الخضيري، محمد بن عبد العزيز، **الإجماع في التفسير**، ص452.

[37] ينظر: المحاربي، أبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج5، ص444.

مَجۡنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآۚ أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ فَلۡيَأۡتِ مُسۡتَمِعُهُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمۡ لَهُ ٱلۡبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمۡ يُرِيدُونَ كَيۡدٗاۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلۡمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوۡاْ كِسۡفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطٗا يَقُولُواْ سَحَابٞ مَّرۡكُومٞ ﴿٤٤﴾ فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوۡمَ لَا يُغۡنِي عَنۡهُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴾[الطور: ٢٩ – ٤٩].

فقد نفى الله جل وعلا عن نبيه صلي الله عليه وسلم في الآيات الكريمات ثلاث صفات قبيحة عن نبيه صلي الله عليه وسلم رماهُ بها الكفار وهي الكهانة والجنون والشعر[38]، وهؤلاء المشركون تارة يصفون رسول الله صلي الله عليه وسلم بغاية الحذر والخبرة والمعرفة، فيقولون: ساحر، وتارة بغاية الجهل والغباوة والحمق، فيقولون: مجنون، وقد ضَلُّوا في هذا وهذا كما: ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ﴾[الإسراء: ٤٨] فهم بمنزلة السائر في الطريق وقد ضل عنها يأخذ يمينا وشمالا ولا يهتدي الى السبيل التي تسلك والسبيل التي يجب سلوكها قول الصدق والعمل بالعدل[39]، ولذا لما سمع جبير بن مطعمٍ سورة الطور كاملة؛ علم أن العقل والحكمة في اتباع الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم وأن ما جاء به لا يتوافق وكلام الكهنة والسحرة، والشعراء والمشعوذين ؛فمجمل السورة بعد ذكر شبه المشركين حول ذات رسول الله صلي الله عليه وسلم وشخصه؛ هي في الردّ على هذه الشبه وتصفية العبادة لله وحده يقول مُحَمَّدُ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلي الله عليه وسلم يقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ فلَمَّا بلَغَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾[الطور: ٣٥، ٣٦]، قَالَ: كَادَ قلْبِي أَنْ يَطِير[40]. وعَن مُحَمَّد بْنِ جُبَيْر عَنْ أَبِيه قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلي الله عليه وسلم يقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ، وَذَلِكَ أَوَّلَ مَا وَقرَ الْإِيمَانُ فِي قلْبِي[41].

وقد ذكر الله تعالى أن نوحاً نوح عليه السلام تعرض لهذه التهمة، فقال: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ﴿١٠﴾ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ﴿١١﴾ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ

---

[38] الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ج7، ص459.

[39] ينظر: الحراني، **النبوات**، ج1، ص222.

[40] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، سورة والطور، رقم4854، ج6، ص140.

[41] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدراً، رقم4023، ج5، ص86.

أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ﴿١٣﴾ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿١٥﴾ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾[القمر: ٩ – ١٦].

وكذا اتُّهِمَ نبيُّ الله تعالى موسى عليه السلام بالجنون، قال تعالى حكاية عن فرعون: ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾[الشعراء: ٢٧، ٢٨]، وكان جواب موسى عليه السلام على قول فرعون واتهامه بالجنون: إن الرسالة والنبوَّة دلَّ عليهما العقل: (إِنْ كُنتُمْ تعْقِلُونَ)، ثم إن الله تولى الرد والمعاقبة بعد قولهم واتهامهم له بالجنون فقال: ﴿ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴾[الذاريات: ٣٨ – ٤٠]، "وقد نفى الله تعالى عن رسول الله صلي الله عليه وسلم هذه التهمة وأثبت أن الجنون غير النبوة والرسالة، والأخلاق السويَّة تنافي التعرُّض للجنون؛ قال تعالى: ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾[القلم: ١ – ٤]، والمعنى: ليس بمجنون بل هو رسول كريم جاءكم بالحق الواضح المؤيد بالمعجزات الذي يعرف كل عاقل أنه حق ولكن عاندتم وكفرتم لشدة كراهيتكم للحق"[42]، واستبعاد ما كان ينسبه إليه كفار مكة عداوة وحسداً وأنه من إنعام الله تعالى عليه بحصافة العقل والشهامة التي يقتضيها التأهيل للنبوة بمنزلة[43]، "إذا كان في مجيء الآية قبل هذه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾ [القلم: 4]، على دعواهم الكاذبة على رسول الله صلي الله عليه وسلم بالجنون ففي هذه الآية تنزيهه صلي الله عليه وسلم مما اشتملت عليه من رذائل ونقائص وافتضاحٌ لهم، وبيان الفرق والبون الشاسع بينه وبينهم ففي الوقت الذي وصفه بأنه على خلق عظيم؛ وصفهم بعكس ذلك من كذب ومداهنة وكثرة حلف ومهانة وهمز ومشي بنميمة ومنع للخير وعتل وتجبر واعتداء وظلم وانقطاع زنيم عشر خصال ذميمة ونتيجتها الوسم بالخزي على الأنوف صغاراً لهم"[44]، وبعد الرد عليهم قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [الأنعام: ١١٧]، يقول الزمخشري: "(إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَم) بالمجانين على الحقيقة، وهم الذين ضلوا عن سبيله، (وَهُوَ أَعْلَمُ) بالعقلاء، وهم المهتدون، أو يكون وعيداً ووعداً، وأنه أعلم بجزاء الفريقين"[45].

يقول ابن تيمية رحمه الله: "وقالوا عن موسى: ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ﴾[الشعراء: ٢٧]، وقال عن

---

[42] الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ج5، ص340.

[43] الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف، **البحر المحيط في التفسير**، ج8، ص302.

[44] الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ج8، ص253.

[45] الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج4، ص591، وينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج5، ص369؛ ويقول القرطبي: "وكانوا يقولون إن به شيطانا وعنوا بالمجنون هذا فقال الله تعالى فسيعلمون غدا بأيهم المجنون أي الشيطان الذي يحصل من مسه الجنون واختلاط العقل". **الجامع لأحكام القرآن**، ج18، ص229.

مشركي العرب: ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴾[القلم: ٥١]، قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾[الذاريات: ٥٢، ٥٣]، فالسحر أمرٌ معتادٌ في بني آدم كما أن النبوة معتادةٌ في بني آدم، والمجانين معتادون فيهم فاذا قالوا عن الشخص انه مجنون فانه يعلم هل هو من العقلاء أو من المجانين بنفس ما يقوله ويفعله وكذلك يعرف هل هو من جنس الانبياء أو من جنس السحرة وكذلك لما قالوا عن محمد انه شاعر فان الشعراء جنس معروفون في الناس وقالوا إنه كاهن وشبهة الشعر أن القرآن كلام موزون والشعر موزون وشبهة الكهانة أن الكاهن يخبر ببعض الامور الغائبة فذكر الله تعالى الفرق بين هذين وبين النبي فقال: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[الشعراء: ٢٢١ – ٢٢٧]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[يس: ٦٩، ٧٠]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الحاقة: ٤١ – ٤٣]، ولهذا لما عرض الكفار على كبيرهم الوحيد أن يقولوا للناس هو شاعر ومجنون وساحر وكاهن صار يبين لهم أن هذه أقوال فاسدة وأن الفرق معروف بينه وبين هذه الأجناس، فالمقصود: أن هذه الأجناس كلها موجودة في الناس معتادة معروفة وكل واحد منها يعرف بخواصه المستلزمة له وتلك الخواص آيات له مستلزمة له فكذلك النبوة لها خواص مستلزمة لها تعرف بها وتلك الخواص خارقة لعادة غير الانبياء وان كانت معتادة للأنبياء فهي لا توجد لغيرهم"[46].

وقد وعظ الله تعالى أهل الأرض أن يتفكروا بحال النبي صلي الله عليه وسلم هل حاله وعمله كالمجنون فقال عز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾[سبأ: ٤٦]، فنصحهم بالتأمل والتريث في الحكم على النبي صلي الله عليه وسلم، فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ ﴾ أي: أحذركم وأنذركم سوء عاقبة ما أنتم فيه، وآمركم وأنصحكم بخصلة واحدة: هي قيامكم في طلب الحق بالفكرة الصادقة، والتأمل الذاتي المجرد المخلص، دون تأثر بهوى أو عصبية، متفرقين اثنين اثنين، أو واحداً واحداً؛ لأن الاجتماع والتجمهر يشوّش الفكر، وينشر الغوغائية والفوضى، ويثني الفكر عن الصواب، ثم ينصح بعضكم بعضا بإخلاص أن ينظر ويتفكر في حقيقة أمر النبي صلي الله عليه وسلم، وما جاء به من الكتاب، فإنكم حينئذ

---

[46] **النبوات**، ج1، ص22، 23.

تعلمون أن صاحبكم ليس بساحر ولا مجنون ليس في أحواله ولا تصرفاته ما يدل على ذلك، وإنما هو نبي مؤيد من عند الله بالمعجزات الدالة على صدقه"[47].

إن للكلمة المتأنية، والفكرة الهادئة الواعية دوراً حيوياً في الحكم الرشيد على الأشخاص والأقوال والأشياء، لذا دعاهم الله تعالى إلى إعمال الفكر، بطريق ثنائي أو فردي يدعو إلى الهدوء والتروي والمناقشة المنطقية المقبولة، وذلك في توحيد الله مصدر السعادة، وفي حقيقة النبي محمد صلي الله عليه وسلم، بدراسة تاريخ حياته المعاصرة لهم، فهل جربوا عليه كذباً، أو رأوا فيه جنوناً وخللاً عقلياً، وهل في أحواله وتصرفاته من فساد وشذوذ وانحراف؟، وهل كان يتردد إلى من يدّعي العلم بالسحر؟، وهل تعلّم الأقاصيص وقرأ الكتب؟، وهل عرفوه طامعاً في أموالهم؟، وهل هم قادرون على معارضة القرآن المنزل عليه في سورة واحدة؟! فإذا عرفوا بهذه التأملات والدراسة الواقعية صدقه، فما بال هذه المعاندة والمعارضة له؟[48]. وصدق الله تعالى، وكذب المكذِّبون: ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ﴾[القلم: ٢]، والحال التي كان رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه غير مجنون وهم قد علموا ذلك : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴾[النجم: ٢]، "وفي التعرض لعنوان الصحبة مضافة إلى ضميرهم على ما هو الحق: تكذيب لهم بألطف وجه إذ هو إيمان إلى أنه صلي الله عليه وسلم نشأ بين أظهركم من ابتداء أمره إلى الآن فأنتم أعرف به وبأنه صلي الله عليه وسلم أتم الخلق عقلاً وأرجحهم قِيلاً وأكملهم وصفاً وأصفاهم ذهناً فلا يسند إليه الجنون إلا من هو مركب من الحمق والجنون"[49]، ولكن الله تعالى بيَّن أَنَّ الحاجة ملحةٌ إلى وجوبِ مَعْرِفَتِهِمْ برسول الله صلي الله عليه وسلم، كما قال تعالى: ﴿أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٦٩ أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾[المؤمنون: ٦٩، ٧٠]، وقد اتضح من الدواعي سلامته صلي الله عليه وسلم من جميع الآفات والنقائص والعيوب، ولذا فمن الواجب المِلّح أنْ يكرم رسول الله صلي الله عليه وسلم ولا يهان، وأن يتَّبع فلا يخان، وأن يتبع فلا يعصى، وهذا للعقل السليم أن يهتدي بالعقل السليم إذا توافرت الأدلة لسلامته وصحَّة ما ادَّعاه.

ومن خلال العرض السابق يتضح أن طريق القرآن في نفي الجنون والشعر عن رسول الله صلي الله عليه وسلم يتسم بالآتي:

- وصف قائلي تلك المقالة الكفر.
- نفي الجنون عنه صلي الله عليه وسلم بأبلغ صيغ النفي: ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ﴾.
- بيان أن ما جاء به هو الحق وأنهم يكرهون الحق.

---

[47] الزحيلي، وهبة مصطفى، **التفسير المنير**، ج22، ص209.

[48] ينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج22، ص209، 210.

[49] الألوسي، **روح المعاني**، ج30، ص90.

– وعظ قائلي تلك المقالة ودعوتهم إلى التفكر الثائي والفردي في حاله صلي الله عليه وسلم فإن ذلك سيقود كل منصف لمعرفة حقيقة دعوته صلي الله عليه وسلم.

– التهديد والوعيد الشديد لمن وصفه بالشعر والجنون.

– بيان عاقبة المكذبين من الأمم الماضية حتى يتعظوا بهم.

4 أثر دفاع الله تعالى عن نبيه محمد صلي الله عليه وسلم **في الدعوة والداعية:**

لدفاع الله تعالى عن نبيه صلي الله عليه وسلم في كتابه الكريم آثار وتطبيقات دعوية عظيمة على الدعوة من حيث؛ موضوعها، والدعاة إليها، ويمكن ذكر أهمها فيما يأتي.

1. 4 أثر دفاع الله تعالى عن نبيه صلي الله عليه وسلم **في موضوع الدعوة:**

يمكن للداعية الاستفادة من دفاع الله تعالى عن نبيه صلي الله عليه وسلم في تطبيقات دعوية كثيرة أهمها:

1. **بيان مكانة النبي** صلي الله عليه وسلم **وفضله عند الله تعالى:**

فإن كثرة آيات الدفاع عنه صلي الله عليه وسلم خير دليل على علو مكانته وسمو منزلته صلي الله عليه وسلم، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[الجمعة: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[النساء: ١١٣]، "وقوله: (وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا) هذا توكيد لقوله: (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ)، وما ظنك بوصف الفضل بالعظم من العظيم الذي لا أعظم منه؟! يكون هذا العظم عظمًا بالغًا جدًا؛ لأن وصف العظيم للشيء بالعظيم يدل على عظمة كبيرة"[50]، ومن فوائد الآية: "بيان فضل الله على رسوله صلي الله عليه وسلم وعظمه؛ فأعظم فضل يتفضل الله به على العبد هو العلم، ولا شك في هذا، ثم هذه البشرى هي لأهل العلم؛ إذا علمهم الله تعالى من شريعته ما علمهم، فإنما هم ورثة النبي صلي الله عليه وسلم حيث علمهم من شريعته ما لم يكونوا يعلمون"[51].

2.الثقة بالقرآن الكريم باعتباره المصدر الأول للدعوة:

وأنه وحي من عند الله أنزله على رسوله النبي الأمين صلي الله عليه وسلم ليكون لهم قائدا وهاديا وتذكرة وموعظة، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[فصلت: ٤١ – ٤٢].

قال الشيخ السعدي: "قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ) أي: يجحدون القرآن الكريم المذكر للعباد جميع

---

[50] العثيمين، محمد بن صالح، **تفسير القرآن الكريم، سورة النساء**، ج2، ص209.

[51] ينظر: العثيمين، **تفسير القرآن الكريم: سورة النساء**، ج2، ص216.

مصالحهم الدينية والدنيوية والأخروية، المعلي لقدر من اتبعه، (لَمَّا جَاءَهُمْ) نعمة من ربهم على يد أفضل الخلق وأكملهم. (و) الحال (إِنَّهُ لَكِتَابٌ) جامع لأوصاف الكمال (عَزِيزٌ) أي: منيع من كل من أراده بتحريف أو سوء، ولهذا قال: (لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ) أي: لا يقربه شيطان من شياطين الإنس والجن، لا بسرقة، ولا بإدخال ما ليس منه به، ولا بزيادة ولا نقص، فهو محفوظ في تنزيله، محفوظة ألفاظه ومعانيه، قد تكفل من أنزله بحفظه كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: 9] "[52].

3.الثقة بالسنة النبوية باعتبارها المصدر الثاني للدعوة:

فدفاع الله تعالى عن نبيه صلي الله عليه وسلم دفاع عن سنته عليه السلام فهي وحيٌ، كما قال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾[النجم: ١ – ٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[الحشر: ٧].

4.بيان خصائص النبي صلي الله عليه وسلم **ومعجزاته وكمال أخلاقه:**

وذلك ليقتدي به الدعاة والمدعوون والبشرية جمعاء، فبالرغم مما اتهم به صلي الله عليه وسلم زوراً وكذباً وبهتاناً فقد كان حريصاً على أمَّته، كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[التوبة: ١٢٨]، فقد "امتَّن تعالى على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الأمي الذي من أنفسهم، يعرفون حاله، ويتمكنون من الأخذ عنه، ولا يأنفون عن الانقياد له، وهو صلي الله عليه وسلم في غاية النصح لهم، والسعي في مصالحهم. (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ)، أي: يشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ويعنتكم. (حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ) فيحب لكم الخير، ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه. (بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) أي: شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم. ولهذا كان حقه مقدما على سائر حقوق الخلق، وواجب على الأمة الإيمان به، وتعظيمه، وتعزيره، وتوقيره"[53].

5. بيان القواسم المشتركة في دعوات الأنبياء ومواقف أقوامهم منهم:

وابتلاءاتهم عليهم السلام ليقتدي بهم الدعاة، وليحذوا حذوهم في جهاد الدعوة، والصبر على الأذى في جنب الله تعالى، والحرص على دعوة أقوامهم مهْمَا بدَرَ منهم من نفورٍ وإعراضٍ وسخريةٍ واستهزاءٍ وكفرٍ وجحودٍ، ولنضرب أمثلة على ذلك من حديث القرآن الكريم عن دعواتهم، ومنهم موسى وهارون عليهما السلام فقد بين الله تعالى لهما منهج الدعوة فقال تعالى: ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ۝٤٢ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ

---

[52] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص750.

[53] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص356.

قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [طه: 42 – 48]. أي: اذهب يا موسى أنت وأخوك هارون بآياتي الدالة على ألوهيتي وكمال قدرتي وصدق رسالتك، ولا تَضْعُفا عن مداومة ذكري. اذهبا معًا إلى فرعون؛ إنه قد جاوز الحد في الكفر والظلم، فقولا له قولا لطيفًا; لعله يتذكر أو يخاف ربه"[54]. فأجاب موسى وهارون بقولهما: يا ربنا، إننا نخاف من فرعون وبطشه إن دعوناه لتوحيدك وعبادتك، أن يشتط في الغضب ويمعن في عقوبتنا أو يتجاوز الحدَّ في التجبر والطغيان، والأذى والاعتداء، قال الله لموسى وهارون: لا تخافا من فرعون، فإنني معكما بالنصر والتأييد، والحفظ والعون، وإنني سميع لما يجري بينكما وبينه، ولست بغافل عنكما، وأرى كل ما يقع، فأصرف شره عنكما[55].

وقوله تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ القول اللين لَا يكون بالملق أو الإدهان أو المواراة، فإن هذه أمور تتجافى مع الحق إلا بالقول الحق، وما كانت رسالة موسى وأخيه إلا الحق وطلب الحق، ولا يطلب الحق إلا بالقول الحق، وإنما لين القول يكون باللين والرفق، حتى لا يُصدم في أمره بالجفوة، وبيان أن الحق يزكي نفسه.... القول اللين ينساب في النفس كما ينساب النمير العذب فيحيي مواتها، وتثمر ثمراتها، والقول الجافي يصُدُّها صدًّا، وإن القول اللين يتبعه التأمل والتفكر، ولذا قال: (لَعَلَّهُ يتَذَكَّرُ)، أي يبعث في الفطرة السليمة الخالية من عنجهية الحكم وطغيانه فيتذكر ضعف الإنسان مهما يكن طغيانه، أمام قدرة الله تعالى القهار، أو لعل القول اللين يجعله يحس بضعفه أمام قدرة الله تعالى فيخشى بطش الجبار الذي فوق بطشه، وقدرته فوق قدرته، وقهره فوق قهره[56].

ومن أمثلة ذلك أيضاً حرص شعيب عليه السلام على دعوة قومه، قال تعالى عن شعيب عليه السلام وهو يدعو قومه ويرجو لهم الخير والفلاح: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [هود: 84، 85]، يقول تعالى: ولقد أرسلنا إلى مدين وهم قبيلة من العرب، كانوا يسكنون بين الحجاز والشام، قريباً من بلاد معان، في بلد يعرف بهم، يقال لها (مدين) فأرسل الله إليهم شعيباً، وكان من أشرفهم نسباً. ولهذا قال: (أخاهم شعيباً)

---

[54] ينظر: نخبة من علماء التفسير، **التفسير الميسر**، ص314.

[55] ينظر: الزحيلي، **التفسير الوسيط**، ج2، ص1552.

[56] ينظر: أبو زهرة، محمد أحمد مصطفى، **زهرة التفاسير**، ج9، ص4730، 4731.

يأمرهم بعبادة الله تعالى وحده، وينهاهم عن التطفيف في المكيال والميزان[57].

فأمرهم بالتوحيد اولا فإنه ملاك الأمر ثم نهاهم عمَّا اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض (إني أراكم بخير) أي: بسعة تغنيكم عن البخس أو بنعمة حقها أن تتفضلوا على الناس شركاً عليها لا أن تنقصوا حقوقهم أو بسعةٍ فلا تزيلوها مما أنتم عليه وهو في الجملة علة للنهي (وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط) لا يشذ منه أحد منكم، والمراد عذاب يوم القيامة أو عذاب الاستئصال ووصف اليوم بالإحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله عليه[58].

فلمَّا رأى شعيب عليه السلام إصرارهم على تكذيبه وعداوتهم وبغضهم له خوَّفهم بمصير الأمم السابقة، فقال: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ٨٩ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ٩٠ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ﴾[هود: 89 - 91]. "أي: لا تحملنَّكم عداوتي وبغضي وفراق الدين الذي أنا عليه على العناد والإصرار على ما أنتم عليه من الكفر بالله، فيصيبكم مثلُ ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح من الهلاك، وما قوم لوط وما حلَّ بهم من العذاب ببعيدين عنكم لا في الدار ولا في الزمان.

ثمَّ رغبهم في التوبة إلى الله والاستغفار، فقال: (وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ) واطلبوا من ربِّكم المغفرة لذنوبكم، ثم ارجعوا إلى طاعته واستمروا عليها، إن ربِّي رحيم كثير المودة والمحبة لمن تاب إليه وأناب، يرحمه ويقبل توبته"[59].

فردُّوا عليه بأشنع ردٍ قالوا: يا شعيب ما نفقه كثيرًا مما تقول، وإننا لَنراك فينا ضعيفًا لست من الكبراء ولا من الرؤساء، ولولا مراعاة عشيرتك لقتلناك رَجْما بالحجارة وكان رهطه من أهل ملتهم، وليس لك قَدْر واحترام في نفوسنا: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِۖ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾[هود: 92]، أي: "أعشيرتي أعزُّ وأكرم عليكم من الله؟ ونبذتم أمر ربكم فجعلتموه خلف ظهوركم، لا تأتمرون به ولا تنتهون بنهيه، إن ربي بما تعملون محيط، لا يخفى عليه من أعمالكم مثقال ذرة، وسيجازيكم عليها عاجلا وآجلا"[60].

وبعد أن يئس قوم شعيب من إعادة المؤمنين إلى ملّتهم، لجأوا إلى التهديد والوعيد، قال أشرافهم لأتباع شعيب:

---

[57] الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، ج4، ص342.

[58] ينظر: البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج3، ص252.

[59] الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، ج4، ص68، 69.

[60] الجزائري، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، ج4، ص70، 71.

تالله لئن اتّبعتم شعيباً فيما يقول وآمنتم به، إنكم لخاسرون خسارة كبري في ترك ملّة الآباء والأجداد العظماء!! ولما استبدّ القوم في عنادهم وكفرهم، عاقبهم الله بإنزال عذاب الاستئصال، وأبيدوا بالرّجفة، أي الزّلزلة الشديدة التي توقع الإنسان في ذعر شديد واضطراب وارتعاد، وحرم الذين كذبوا شعيباً من ديارهم وأوطانهم، كأن لم يقيموا فيها، وكان هؤلاء الكافرون هم الذين خسروا خسراناً عظيماً في الدنيا والآخرة، دون المؤمنين.

وأما شعيب عليه السّلام فتولّى وأعرض عنهم قائلا وموبّخاً: يا قوم لقد أدّيت لكم ما أرسلت به من ربّي، وبلّغتكم ما فيه صلاحكم، ونصحتكم نصحاً مخلصاً، فكيف أحزن على قوم أنكروا وحدانية الله وكذبوا رسوله، وكانوا في عداد التاريخ من الكافرين الجاحدين[61]، قال تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾[الأعراف: 93].

2. 4 أثر دفاع الله تعالى عن نبيه صلي الله عليه وسلم في الداعية:

يستفيد الداعية من منهج القرآن في الدفاع عن النبي صلي الله عليه وسلم فوائد ودروساً عظيمة، منها:

1.الاقتداء بمنهج القرآن الكريم في الدفاع عن النبي، وأن يكونوا قدوة للمدعوين:

عملاً بقوله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾[الأنعام: ٨٩ – ٩٠]، ويشمل هداهم ما كان منه راجعاً إلى أصول الشرائع، وما كان منه راجعاً إلى زكاء النفس، وحسن الخلق[62]، وهو خطابٌ للنبي صلي الله عليه وسلم، والخطاب الخاصّ به صلي الله عليه وسلم يشمل حكمُه أُمَّتَه، كما دلَّ عليه استقراءُ القرآن الكريم[63]، والاقتداء الموافقة في سلوك الطريق الذي سلكوه، والهدى الذي اتبعوه، والمنهج الذي نهجوه، و(هُداهم) التوحيد، وألا تشركوا بالله شيئاً، وما جاءوا به من شرائع أبدية لَا تتغير بتغير الأزمان، وبما اتصفوا به من صفات الصبر، والشكر والروحانية، والزهد، والصدق والأخلاق الكريمة، وإن الاقتداء يوجب الدعوة إلى هذا الهدى[64].

2. الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة:

كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨]، ومعنى الآية: "قل يا محمد لهم هذه الدعوة التي أدعو إليها والطريقة التي أنا عليها سبيلي وسنتي

61الزحيلي، **التفسير الوسيط**، ج1، ص694.

62 التونسي، محمد الطاهر ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج1، ص694.

63 ينظر: الشنقيطي، محمد الأمين محمد الجكني، **العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير**، ج1، ص488.

64 ينظر: أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج5، ص2583.

ومنهاجي، وسمَّي (الدين) سبيلاً؛ لأنه الطريق الذي يؤدي إلى الثواب، ومثله قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[النحل: 125].

واعلم أن السبيل في أصل اللغة الطريق، وشبهوا المعتقدات بها لما أن الإنسان يمر عليها إلى الجنة ادعو الله على بصيرة وحجة وبرهان أنا ومن اتبعني إلى سيرتي وطريقتي وسيرة أتباعي الدعوة إلى الله، لأن كل من ذكر الحجة وأجاب عن الشبهة فقد دعا بمقدار وسعه إلى الله، وهذا يدل على أن الدعاء إلى الله تعالى إنما يحسن ويجوز مع هذا الشرط، وهو أن يكون على بصيرة مما يقول وعلى هدى ويقين، فإن لم يكن كذلك فهو محض الغرور"[65].

قال ابن قيم الجوزية: "وسواء كان المعنى: أنا ومن اتبعني يدعو إلى الله على بصيرة، أو كان الوقف عند قوله: ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾ ثم يبتدئ: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾ فالقولان متلازمان. فإنه أمره سبحانه أن يخبر أن سبيله الدعوة إلى الله. فمن دعا إلى الله تعالى. فهو على سبيل رسوله صلي الله عليه وسلم، وهو على بصيرة، وهو من أتباعه، ومن دعا إلى غير ذلك فليس على سبيله، ولا هو على بصيرة، ولا هو من أتباعه.

فالدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة المرسلين وأتباعهم، وهم خلفاء الرسل في أممهم. والناس تبع لهم. والله سبحانه قد أمر رسوله أن يبلغ ما أنزل إليه من ربه وضمن له حفظه وعصمته من الناس.

وهؤلاء المبلغون عنه من أمته لهم من حفظ الله وعصمته إياهم بحسب قيامهم بدينه، وتبليغهم له، وقد أمر النبي صلي الله عليه وسلم بالتبليغ عنه ولو آية، ودعا لمن بلغ عنه ولو حديثاً، وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو؛ لأن تبليغ السهام يفعله كثير من الناس. وأما تبليغ السنن فلا يقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم. جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه"[66].

والبصيرة من مقتضيات حكمة الداعية في الدعوة، فيقدر الداعية الأمور ويُعطيها ما تستحقه من النظر، وأن ينظر ببصيرة المؤمن، فيرى حاجة الناس ويُعالجها بحسب ما يقتضيه الحال[67]، والبصيرة تقتضي أن يكون الداعية على اطلاع بأسس الدعوة ومناهجها وأساليبها، والبصيرة في الدعوة إلى الله هي أعلى درجات الحكمة والعلم، وحقيقتها الدعوة إلى الله على علم ويقين وبرهان عقلي وشرعي، وبالحجة الواضحة، والمعرفة التي يتميز بها الحق من الباطل"[68].

ويمكننا القول إن البصيرة في الدعوة إلى الله على ثلاثة أمور:

الأول: البصيرة فيما يدعو إليه.

---

[65] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ج18، ص520.

[66] الزرعي، **التفسير القيم**، ص466، 467.

[67] ينظر: القحطاني، سعيد، **مفهوم الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة**، ص6.

[68] الشوكاني، محمد بن علي، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، ج3، ص71.

والثاني: البصيرة بحال المدعوين.

والثالث: البصيرة بكيفية الدعوة وأساليبها.

3. الصبر على أذى المدعوين عملاً بهدي النبي الله عليه وسلم وحب الخير لهم، والحدب عليهم:

قال تعالى لنبيه محمد صلي الله عليه وسلم: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[إبراهيم: ١١ – ١٢]، قال الفخر الرازي رحمه الله: " (ولنصبرن على ما آذيتمونا) فإن الصبر مفتاح الفرج، ومطلع الخيرات، والحق لا بد وأن يصير غالبا قاهرا، والباطل لا بد وأن يصير مغلوبا مقهورا، ثم أعادوا قولهم: (وعلى الله فليتوكل المتوكلون)، والفائدة فيه أنهم أمروا أنفسهم بالتوكل على الله في قوله: (وما لنا ألا نتوكل على الله)، ثم لما فرغوا من أنفسهم أمروا أتباعهم بذلك وقالوا: (وعلى الله فليتوكل المتوكلون)، وذلك يدل على أن الآمر بالخير لا يؤثر قوله إلا إذا أتى بذلك الخير أولا"[69].

وقال ابن عاشور رحمه الله: "وجملة وعلى الله فليتوكل المؤمنون أمر لمن آمن من قومهم بالتوكل على الله، وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا لأنهم أول المؤمنين بقرينة قولهم: وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا إلى آخره. ولما كان حصول إذن الله تعالى بتأييد الرسل بالحجة المسئولة غير معلوم الميقات ولا متعين الوقوع وكانت مدة ترقب ذلك مظنة لتكذيب الذين كفروا رسلهم تكذيبا قاطعا وتوقع الرسل أذاة قومهم إياهم شأن القاطع بكذب من زعم أنه مرسل من الله، ولأنهم قد بدأوهم بالأذى كما دل عليه قولهم: ولنصبرن على ما آذيتمونا. أظهر الرسل لقومهم أنهم غير غافلين عن ذلك وأنهم يتلقون ما عسى أن يواجههم به المكذبون من أذى بتوكلهم على الله هم ومن آمن معهم فابتدأوا بأن أمروا المؤمنين بالتوكل تذكيرا لهم لئلا يتعرض إيمانهم إلى زعزعة الشك حرصا على ثبات المؤمنين"[70].

فالابتلاء هو امتحان من الله تعالى لمن يحمل دعوته من أنبيائه وأتباعهم؛ لاختبار طاعتهم، وامتثال أمره، وتمحيص صبرهم على البلاغ، وطريق الدعوة مليء بالصعوبات والعوائق والمشاق، والداعية قد يبتلى بنفسه أو ولده أو أهله أو ماله أو بقومه، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَٰذِبِينَ ﴾[العنكبوت: 1 – 3]، والابتلاء سنة عامة "في جميع الخلق امتحن بعضهم ببعض؛ فامتحن الرسل بالمرسل إليهم، ودعوتهم إلى الحق، والصبر على أذاهم، وتحمل المشاق في

---

[69] **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ج19، ص75.

[70] **التحرير والتنوير**، ج13، ص202، 203.

تبليغهم رسالات ربهم، وامتحن المرسل إليهم بالرسل، وهل يطيعونهم وينصرونهم ويصدقونهم أم يكفرون بهم ويردون عليهم ويقاتلونهم؟، وامتحن العلماء بالجهال، هل يعلمونهم وينصحونهم ويصبرون على تعليمهم ونصحهم وإرشادهم؟"[71].

وشعار الأنبياء والدعاة من بعدهم هو الصبر، قال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [الأحقاف: 35]، قال ابن باديس رحمه الله: "حق على حزب القرآن الداعين به، والداعين إليه، أن يقتدوا بالأنبياء والمرسلين في الصبر على الدعوة، والمضي فيها، والثبات عليها، وأن يداووا أنفسهم عند ألمها واضطرابها، بالتأسي بأولئك السادة الأخيار"[72].

فالابتلاء سنة ماضية في دعوات الرسل، قال تعالى قوم عن الملأ من قوم نوح عليه السلام: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأٞ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[الأعراف: 60]، وقال تعالى عن الملأ من قوم هود عليه السلام: ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٦٦ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[الأعراف: 66، 67]، وقال عن قوم عليه السلام: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴾[الأعراف: ٨٢]، وقال عن الملأ من قوم شعيب عليه السلام: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ٨٨ قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ﴾[الأعراف: 88، 89]، وقال تعالى عن الملأ من قوم فروع وهم يحرضونه على موسى عليه السلام: ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأٞ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴾[الأعراف: 127].

4. بيان حقيقة دعوات الأنبياء والرسل للمدعوين:

فدعوات الأنبياء والرسل عليهم السلام أصلها واحد، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾[النحل: ٣٦]، فما من أمة متقدمة أو متأخرة إلا وبعث الله فيها رسولاً، وكلهم متفقون على دعوة واحدة، ودين واحد، وهو عبادة الله وحده

---

[71] الزرعي، **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، ج2، ص160، 161.

[72] الصنهاجي، عبد الحميد بن باديس، **تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**، ص176.

لا شريك له[73]، والدعوة إلى الله تعالى دعوة إلى الوحدانية واجتناب الطاغوت جامعة لكل معاني الرسالة من عقيدة، وتعامل الناس بعضها مع بعض، هذه رسالة رسل الله في الأرض؛ اعتقاد سليم، وتعاون، وعمل عادل مستقيم[74]، فأخبر الله تعالى في الآية عن وحدة الدعوة بين الرسل، وهي (لا إله إلا الله) المفسرة بعبادة الله تعالى وحده، واجتناب الطاغوت؛ وهو كل ما عُبد من دون الله"[75]، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[الأنبياء: 25]، وهذه الغاية التي بعث من أجلها الرسل هي الغاية التي لأجلها خلق الله تعالى الجن والإنس، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾[الأعراف: 59]، وقال تعالى:﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[الأعراف: 65]، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾[الأعراف: 73]، وقال تعالى:﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[الأعراف: 85].

5. البلاغ المبين وعدم الخوف من تشكيك المشككين وافتراءاتهم وشبههم:

إن على الداعية الوسع في نشر الدعوة، وتوضيح السبيل للمدعوين كي يسلكوه لتنقطع أعذارهم، وتقام الحجة عليهم، عملاً بقوله تعالى: ﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾[آل عمران: 20]، وقوله تعالى: ﴿فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾[النحل: 35]، فالدور المنوط بالداعية إبلاغ دين الله تعالى وإيصاله للناس، يقول تعالى مخاطباً إمام الدعاة: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾[الشورى: 48]، أي: "ما عليك إلا البلاغ لما أمرت بإبلاغه، وليس عليك غير ذلك"[76].

وعلى الداعية بذل الجهد في النصح والبلاغ، والله يهدي من يشاء، قال تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ﴾[البقرة: 272]، أي: "لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين إلى الإتيان بما أُمروا به من المحاسن، والانتهاءِ عمَّا نُهوا عنهُ من القبائح المعدودة، وإنما الواجبُ عليك الإرشادُ إلى الخير والحثُّ عليه، والنهيُ

---

[73] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص440.

[74] ينظر: أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج8، ص4175.

[75] الجزائري، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، ج3، ص117.

[76] الشوكاني، **فتح القدير**، 623/4.

عن الشر والردعُ عنه بما أُوحِيَ إِلَيْكَ من الآياتِ والذكرِ الحكيم"[77]. والداعية "إذا بلَّغ شريعة الله برئت ذمته؛ لقوله تعالى: (ليس عليك هداهم)؛ ولو كانت ذمته لا تبرأ لكان ملزماً بأن يهتدوا"[78].

قال تعالى عن بلاغ نوح عليه السلام: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[الأعراف: ٦٢]، وقال تعالى عن بلاغ هود عليه السلام: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾[الأعراف: 68]، وقال تعالى عن بلاغ صالح عليه السلام ونصحه قومه: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾[الأعراف: 79]، وقال تعالى عن بلاغ شعيب عليه السلام ونصحه قومه: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾[الأعراف: 93]، وقال تعالى آمرا محمداً صلي الله عليه وسلم بالبلاغ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾[المائدة: 67]، والبلاغ يحتاج إلى معرفة علمية، وفصاحة وحسن بيان، وشجاعة، عند تبليغ الناس ما يخالف معتقداتهم، وأمرهم بما يستنكرونه، ونهيهم عمّا ألفوه، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾[الأحزاب: 39]، قال ابن كثير: "يمدح تعالى: (الذين يبلغون رسالات الله) أي: إلى خلقه ويؤدونها بأمانتها (ويخشونه) أي: يخافونه ولا يخافون أحداً سواه فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله، (وكفى بالله حسيبا) أي: وكفى بالله ناصراً ومعيناً. وسيد الناس في هذا المقام بل وفي كل مقام محمد رسول الله صلي الله عليه وسلم؛ فإنه قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشارق والمغارب، إلى جميع أنواع بني آدم، وأظهر الله كلمته ودينه وشرعه على جميع الأديان والشرائع، فإنه قد كان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وأما هو صلوات الله عليه فإنه بعث إلى جميع الخلق عربهم وعجمهم: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[الأعراف: 158]، ثم ورث مقام البلاغ عنه أمته من بعده، فكان أعلى من قام بها بعده أصحابه رضي الله عنهم، بلغوا عنه كما أمرهم به في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، في ليله ونهاره، وحضره وسفره، وسره وعلانيته، فرضي الله عنهم وأرضاهم. ثم ورثه كل خلف عن سلفهم إلى زماننا هذا، فبنورهم يقتدي المهتدون، وعلى منهجهم يسلك الموفقون. فنسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا من خلفهم"[79].

---

[77] العمادي، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج1، ص264.

[78] العثيمين **تفسير القرآن الكريم، (الفاتحة والبقرة)**، ج3، ص363.

[79] الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، ج6، ص427.

5. الخاتمة:

في نهاية هذا البحث يطيب لي أن أسجل النتائج والتوصيات الآتية:

أولاً: النتائج:

- ورد في الخطاب القرآني كثير من الآيات التي تبرز النصر والتأييد لجناب المعصوم صلي الله عليه وسلم في قالب من الجماليات اللفظية تطمئن الناظر لنصر الله تعالى لأنبيائه وأوليائه.
- مظاهر النصر والكفاية لنبينا صلي الله عليه وسلم كثيرة ومتفاوتة، وصور الدفاع القرآني عن النبي صلي الله عليه وسلم متنوّعةٌ سواء عن شخصه، أو عقْلِه، أو معتقده، أو أهل يته، أو أصحابه وأتباعه.
- إنَّ وجود العصمة لرسول الله صلي الله عليه وسلم لا يعنى عدم تعرُّضه لما يعترض البشر في الجسد والنفس، ولكنه أَقْدَرُ عَلَى التحمُّلِ، وأَشَدُّ مِنْهُم فِيْ البَلاءِ.
- لدفاع الله عن نبيه صلي الله عليه وسلم آثار عظيمة على موضوع الدعوة والدعاة من بعده، ومنها: اعتقاد صدق النبي صلي الله عليه وسلم، وصدق ما جاء به، واتخاذه قدوة في البلاغ المبين.

ثانياً: التوصيات:

يوصي الباحث بالآتي:

- المقارنة بين شبهات المتقدمين والمتأخرين حول النبي صلي الله عليه وسلم، وتفنيدها وبيان آثارها الدعوية والثقافية
- القيام بدراسات مقارنة بين شبهات المتقدمين والمتأخرين حول القرآن الكريم باعتبار الطعن فيه طعن في النبي صلي الله عليه وسلم، وتفنيدها وبيان آثارها الدعوية والثقافية.

REFERENCES (المصادر والمراجع)

[1] Ibrāhīm, Muṣṭafá, wa-ākharūn, al-Muʻjam al-Wasīṭ, Majmaʻ al-lughah al-ʻArabīyah, al-Qāhirah, (Dār al-Daʻwah, D. Ṭ, D. t).

[2] Abū Zahrah, Muḥammad Aḥmad Muṣṭafá, Zahrah al-tafāsīr, (Dār al-Fikr al-ʻArabī, D. Ṭ, D. t).

[3] al-Azdī, Abū Bakr Muḥammad ibn al-Ḥasan Ibn Durayd, Jamharat al-lughah, taḥqīq : Ramzī Baʻlabakkī, (Dār al-ʻIlm lil-Malāyīn, Bayrūt, Ṭ1, 1987m).

[4] al-Ifrīqī, Muḥammad ibn Mukarram, Ibn manẓūr al-Miṣrī, Lisān al-ʻArab, (Dār Ṣādir, Bayrūt, ṭ3, 1414h).

[5] al'lwsyK Maḥmūd ibn ʻAbd Allāh al-Ḥusaynī, Rūḥ al-maʻānī fī tafsīr al-Qur'ān al-ʻAẓīm wa-al-Sabʻ al-mathānī, taḥqīq : ʻAlī ʻAbd al-Bārī ʻAṭīyah, (Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, Bayrūt, Ṭ1, 1415h).

[6] al-Andalusī, Abū Ḥayyān Muḥammad ibn Yūsuf al-Gharnāṭī, al-Baḥr al-muḥīṭ fī al-tafsīr, taḥqīq : Ṣidqī Muḥammad Jamīl, (Dār al-Fikr, Bayrūt, D. Ṭ, 1420h).

[7] al-Bukhārī, Abū ʻAbd Allāh Muḥammad ibn Ismāʻīl al-Juʻfī, Ṣaḥīḥ al-Bukhārī, taḥqīq : Jamāʻat min al-ʻulamā', (al-Ṭabʻah al-sulṭānīyah, bi-al-Maṭbaʻah al-Kubrá al-Amīrīyah, bi-Būlāq Miṣr, 1311h).

[8] al-Bayḍāwī, Nāṣir al-Dīn ʻAbd Allāh ibn ʻUmar, Anwār al-tanzīl wa-asrār al-ta'wīl, taḥqīq : Muḥammad ʻAbd al-Raḥmān al-Marʻashlī, (Dār Iḥyā' al-Turāth al-ʻArabī, Bayrūt, Ṭ1, 1418h).

[9] al-Tūnisī, Muḥammad al-Ṭāhir Ibn ʻĀshūr, al-Taḥrīr wa-al-tanwīr, (al-Dār al-Tūnisīyah lil-Nashr, Tūnis, Ṭ1, 1984m).

[10] al-Jazā'irī, Abū Bakr Jābir ibn Mūsá, Aysar al-tafāsīr lklām al-ʻAlī al-kabīr, (Maktabat al-ʻUlūm wa-al-Ḥikam, al-Madīnah al-Munawwarah, ṭ5, 1424h.

[11] al-Jawharī Ismāʻīl ibn Ḥammād, al-ṣiḥāḥ (Tāj al-lughah wa-ṣiḥāḥ al-ʻArabīyah), taḥqīq : Aḥmad ʻAbd al-Ghafūr ʻAṭṭār, (Dār al-ʻIlm lil-Malāyīn, Bayrūt, ṭ4, 1407h).

[12] al-Ḥarrānī, Taqī al-Dīn Abū al-ʻAbbās Aḥmad ibn ʻAbd al-Ḥalīm Ibn Taymīyah, al-nubūwāt, taḥqīq : ʻAbd al-ʻAzīz ibn Ṣāliḥ al-Ṭuwayyān, (Dār Aḍwā' al-Salaf, al-Riyāḍ, Ṭ1, 2000M).

[13] al-Ḥarrānī, Taqī al-Dīn Abū al-ʻAbbās Aḥmad ibn ʻAbd al-Ḥalīm Ibn Taymīyah, sharḥ al-ʻaqīdah al-Aṣfahānīyah, taḥqīq Muḥammad Riyāḍ al-Aḥmad, (al-Maktabah al-ʻAṣrīyah, Ṣaydā, 1425h).

[14] al-Ḥarrānī, Taqī al-Dīn Abū al-ʻAbbās Aḥmad ibn ʻAbd al-Ḥalīm Ibn Taymīyah, Majmūʻ al-Fatāwá, taḥqīq : ʻAbd al-Raḥmān ibn Muḥammad ibn Qāsim, (Majmaʻ al-Malik Fahd li-Ṭibāʻat al-Muṣḥaf al-Sharīf, al-Madīnah al-Nabawīyah, 1416h).

[15] al-Khuḍayrī, Muḥammad ibn ʻAbd al-ʻAzīz, al-ijmāʻ fī al-tafsīr, (Dār al-waṭan, al-Riyāḍ, Ṭ1, D. t).

[16] aldmshqyK Abū al-Fidā' Ismāʻīl ibn ʻUmar ibn Kathīr, tafsīr al-Qur'ān al-ʻAẓīm, taḥqīq : Sāmī ibn Muḥammad Salāmah, (Dār Ṭaybah lil-Nashr wa-al-Tawzīʻ, D. Ṭ, 1999M).

[17] al-Rāzī, Muḥammad ibn Abī Bakr ibn ʻAbd al-Qādir, Mukhtār al-ṣiḥāḥ, taḥqīq : Yūsuf al-Shaykh, (al-Maktabah al-ʻAṣrīyah, Ṣaydā, ṭ5, 1420h).

[18] al-Rāghib al-Aṣfahānī, al-Ḥusayn ibn Muḥammad, al-maʻrūf bālrāghb al-Aṣfahānī, al-Mufradāt fī Gharīb al-Qur'ān, taḥqīq : Ṣafwān ʻAdnān al-Dāwūdī, (Dār al-Qalam-Dimashq, wa-al-dār al-Shāmīyah-Bayrūt, Ṭ1, 1412h).

[19] al-Ruḥaylī, Ḥammūd ibn Aḥmad ibn Faraj, Manhaj al-Qur'ān al-Karīm fī Daʻwat al-mushrikīn ilá al-Islām, Nashr : ʻImādat al-Baḥth al-ʻIlmī bi-al-Jāmiʻah al-Islāmīyah-al-Madīnah al-Munawwarah, Ṭ1, 1424h).

[20] al-Zuḥaylī, Wahbah Muṣṭafá, al-tafsīr al-munīr fī al-‘aqīdah wa-al-sharī‘ah wa-al-manhaj, Dār al-Fikr, Dimashq-Dār al-Fikr al-mu‘āṣir, Bayrūt, Ṭ1, 1411h).
[21] al-Zuḥaylī, Wahbah Muṣṭafá, al-tafsīr al-Wasīṭ, (Dār al-Fikr al-mu‘āṣir, Dimashq, Ṭ1, 1422h).
[22] al-Zar‘ī, Muḥammad ibn Abī Bakr ibn Ayyūb, al-ma‘rūf bi-Ibn Qayyim al-Jawzīyah, ighāthat al-lahfān min Maṣā’id al-Shayṭān, taḥqīq : Muḥammad ‘Afīfī, (al-Maktab al-Islāmī, Bayrūt, Maktabat frqd al-Khānī, al-Riyāḍ, ṭ2, 1988m).
[23] al-Zar‘ī, Muḥammad ibn Abī Bakr ibn Ayyūb, al-ma‘rūf bāyn Qayyim al-Jawzīyah, Badā’i‘ al-Fawā’id, Dār al-Kitāb al-‘Arabī, Bayrūt, D. Ṭ, D. t).
[24] al-Zar‘ī, Muḥammad ibn Abī Bakr, ibn Ayyūb al-ma‘rūf bāyn Qayyim al-Jawzīyah, al-tafsīr al-Qayyim, (Dār wa-Maktabat al-Hilāl, Bayrūt, Ṭ1, 1410h).
[25] al-Zamakhsharī, Jār Allāh Maḥmūd ibn ‘Umar, al-Kashshāf ‘an ḥaqā’iq ghawāmiḍ al-tanzīl wa-‘uyūn al-aqāwīl fī Wujūh al-ta’wīl, (Dār al-Kitāb al-‘Arabī, Bayrūt, ṭ3, 1407h).
[26] al-Sa‘dī, ‘Abd al-Raḥmān ibn Nāṣir, Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī tafsīr kalām al-Mannān, taḥqīq : ‘Abd al-Raḥmān ibn Mu‘allā al-Luwayḥiq, (Mu’assasat al-Risālah, Bayrūt, Ṭ1, 2000M).
[27] al-Shinqīṭī, Muḥammad al-Amīn ibn Muḥammad al-Jakanī, Aḍwā’ al-Bayān fī Īḍāḥ al-Qur’ān bi-al-Qur’ān, (Dār al-Fikr lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘, Bayrūt, 1995m).
[28] al-Shinqīṭī, Muḥammad al-Amīn ibn Muḥammad al-Jakanī, al-‘adhb al-Numayr min Majālis al-Shinqīṭī fī al-tafsīr, taḥqīq : Khālid ibn ‘Uthmān al-Sabt, (Dār ‘aṭā’āt al-‘Ilm, al-Riyāḍ-Dār Ibn Ḥazm, Bayrūt, ṭ5, 1441h-2019m).
[29] al-Shawkānī, Muḥammad ibn ‘Alī ibn Muḥammad, Fatḥ al-qadīr al-Jāmi‘ bayna Fannī al-riwāyah wa-al-dirāyah min ‘ilm al-tafsīr, (Dār Ibn Kathīr, Dimashq-Dār al-Kalim al-Ṭayyib Bayrūt, Ṭ1, 1414h).
[30] al-Ṣinhājī, ‘Abd al-Ḥamīd ibn Muḥammad, Ibn Bādīs, tafsīr Ibn Bādīs fī Majālis al-tadhkīr min kalām al-Ḥakīm al-khabīr, ‘allaqa ‘alayhi wa-kharraja āyātihi wa-aḥādīthahu : Aḥmad Shams al-Dīn, (Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt, Ṭ1, 1995m).
[31] al-Ṭabarī, Abū Ja‘far Muḥammad ibn Jarīr ibn Ghālib, Jāmi‘ al-Bayān ‘an Ta’wīl āy al-Qur’ān, (Dār al-Tarbiyah wa-al-Turāth, Makkah al-Mukarramah, D. Ṭ, D. t).
[32] al-‘Uthaymīn, Muḥammad ibn Ṣāliḥ, tafsīr al-Qur’ān al-Karīm, (al-Fātiḥah wālbqrh), (Dār Ibn al-Jawzī, al-Dammām, Ṭ1, 1423h).
[33] al-‘Uthaymīn, Muḥammad ibn Ṣāliḥ, tafsīr al-Qur’ān al-Karīm, (Sūrat al-nisā’), (Dār Ibn al-Jawzī, al-Dammām, Ṭ1, 1430h).
[34] al-‘Imādī, Abū al-Sa‘ūd Muḥammad ibn Muḥammad, Irshād al-‘aql al-salīm ilá mazāyā al-Kitāb al-Karīm, (Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, Bayrūt, D. Ṭ, D. t).
[35] al-Fakhr al-Rāzī, Muḥammad ibn ‘Umar, Mafātīḥ al-ghayb (al-tafsīr al-kabīr), (Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, Bayrūt, ṭ3, 1420h).
[36] al-Fayrūz Ābādī, Majd al-Dīn Muḥammad ibn Ya‘qūb, Baṣā’ir dhawī al-Tamyīz fī Laṭā’if al-Kitāb al-‘Azīz, taḥqīq : Muḥammad ‘Alī al-Najjār, (Ṭab‘ah al-Majlis al-A‘lá lil-Shu’ūn al-Islāmīyah-Lajnat Iḥyā’ al-Turāth al-Islāmī, al-Qāhirah, 1416h-1996m).
[37] al-Qāsimī, Muḥammad Jamāl al-Dīn al-Ḥallāq, Maḥāsin al-ta’wīl, taḥqīq : Muḥammad Bāsil ‘Uyūn al-Sūd, (Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt, Ṭ1, 1418h).
[38] al-Qaḥṭānī, Sa‘īd ibn ‘Alī ibn Wahf al-Qaḥṭānī, Mafhūm al-Ḥikmah fī al-Da‘wah ilá Allāh ta‘ālá fī ḍaw’ al-Kitāb wa-al-sunnah, (Maṭba‘at Safīr, al-Riyāḍ, D. Ṭ, D. t).
[39] al-Qurṭubī, Abū ‘Abd Allāh Muḥammad ibn Aḥmad ibn Faraḥ, al-Jāmi‘ li-aḥkām al-Qur’ān, taḥqīq : Aḥmad al-Baraddūnī, wa-ākharūn, (Dār al-Kutub al-Miṣrīyah, ṭ2, 1964m).
[40] al-Qazwīnī, Aḥmad ibn Fāris ibn Zakarīyā, Maqāyīs al-lughah, taḥqīq : ‘Abd al-Salām Hārūn, (Dār al-Fikr, Bayrūt, 1979m).

[41] al-Māzarī, Abū ʻAbd Allāh Muḥammad ibn ʻAlī, al-Muʻallim bi-fawāʼid Muslim, taḥqīq : Muḥammad al-Shādhilī al-Nayfar, (Dār al-Gharb al-Islāmī, Bayrūt, ṭ2, 1992m).
[42] majmūʻah min ʻulamāʼ al-tafsīr, al-tafsīr al-muyassar, (Ṭubiʻa Majmaʻ al-Malik Fahd li-Ṭibāʻat al-Muṣḥaf al-Sharīf, al-Madīnah al-Munawwarah, ṭ2, 2009M).
[43] al-Muḥāribī, Abū Muḥammad ʻAbd al-Ḥaqq ibn Ghālib Ibn ʻAṭīyah al-Andalusī, al-muḥarrir al-Wajīz fī tafsīr al-Kitāb al-ʻAzīz, taḥqīq : ʻAbd al-Salām ʻAbd al-Shāfī Muḥammad, (Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, Bayrūt, Ṭ1, 1422h).
[44] al-Nīsābūrī, Abū al-Ḥusayn Muslim ibn al-Ḥajjāj al-Qushayrī, Ṣaḥīḥ Muslim, taḥqīq : Muḥammad Fuʼād ʻAbd al-Bāqī, taṣwīr : (Dār Iḥyāʼ al-Turāth al-ʻArabī, Bayrūt, D. Ṭ, D. t)